الباب الثاني

مقدمة في اتجاهات طه حسين الدينية

مقدمة في اتجاهات طه حسين الدينية

محاكمة طه حسين

قبل الحديث عن كتاب " على هامش السيرة " موضوع دراستنا يجدر بنا أن نُلَّم بأحداث سبقت كتابة هذا الكتاب رأى بعض الكُتَّاب أنها تركت أثراً كبيراً على طه حسين فقد جعلته لا يغير منهجه البحثي فقط إنما يغير أفكاره وآراءه ، إما تجنباً لثورة خصومه أو اقتناعاً بصحة ما وجه إليه من نقد ، ورآها البعض الآخر غير ذلك .

وتبدأ القصة أن طه حسين كان قد ألف كتابه " في الشعر الجاهلي " عام ١٩٢٦ فثارت عليه ثورة عارمة وقُدِّم على أثرها إلى المحاكمة ، ولنترك رئيس نيابة مصر محمد نور الذي باشر التحقيق في هذه القضية يحكي لنا تفاصيل هذه القضية كما جاءت في تقريره الذي عثر عليه خيري شلبي الذي بهره " موقف هذا النائب العام كمثقف مصري حر وضع أمام مسئولية تاريخية فكان في مستواها ، ولم يكتف بالبت فيها على النحو الأمثل بل سجَّل موقفه للتاريخ فنشر قراره في كتاب " [١] وقرر خيري شلبي إعادة نشر هذا كتاب رئيس نيابة مصر محمد نور في كتاب أسماه " محاكمة طه حسين " .

وكان دافعه لذلك " لأني أرى أننا اليوم أحوج ما نكون لضرب مثل هذا المثل ، طه حسين كزعيم تنويري مناضل من جهة ، والنائب العام المحترم الذي حاكمه من جهة أخرى " [٢]

([1]) خيري شلبي " محاكمة طه حسين " المؤسسة العربية ببيروت ص ١٦

([2]) خيري شلبي " محاكمة طه حسين " مرجع سابق ص ٢٠ .

ونحن لن نعرض كل التقرير إنما نعرض أهم ما احتوى عليه لما له من أهمية في دراستنا لكتاب " على هامش السيرة " موضوع بحثنا .

" نحن محمد نور رئيس نيابة مصر .

من حيث أنه بتاريخ ٣٠ مايو سنة ١٩٢٦ تقدم بلاغ من الشيخ خليل حسنين الطالب بالقسم العالي بالأزهر لسعادة النائب العمومي يتهم فيه الدكتور طه حسين الأستاذ بالجامعة المصرية بأنه ألف كتاباً أسماه " في الشعر الجاهلي " ونشره على الجمهور وفي هذا الكتاب طعن صريح في القرآن العظيم حيث نسب الخرافة لهذا الكتاب السماوي إلى آخر ما ذكره في بلاغه .

بتاريخ ٥ يونيو سنة ١٩٢٦ أرسل فضيلة شيخ الأزهر لسعادة النائب العام العمومي خطاباً يبلغه به تقريراً رفعه علماء الجامع الأزهر عن كتاب ألفه طه حسين المدرس بالجامعة المصرية أسماه " في الشعر الجاهلي " كذَّب فيه على القرآن الكريم صراحة وطعن فيه على النبيﷺوعلى نسبه الشريف وأهاج بذلك ثائرة المتدينين وأتى فيه بما يخل بالنظم العامة ويدعو الناس للفوضى ، وطلب اتخاذ الوسائل القانونية الفعالة الناجعة ضد هذا الطعن على دين الدولة الرسمي ، وتقديمه للمحكمة .

وقد أرفق بهذا البلاغ صورة من تقرير أصحاب الفضيلة العلماء الذين أشار إليهم في كتابه .

و" بتاريخ ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٦ تقدم إلينا بلاغ آخر من حضرة عبد الحميد البنان عضو جلس النواب ذكر فيه : أن الأستاذ طه حسين المدرس بالجامعة المصرية نشر ووزع وعرض للبيع في المحافل والمحلات العامة كتاباً أسماه " في الشعر الجاهلي " طعن وتعدى فيه على الدين الإسلامي وهو دين الدولة بعبارات صريحة واردة في كتابه سنبينه في التحقيقات ...

وحيث إنه اتضح من أقوال المُبَلِّغين أنهم ينسبون للمؤلف أنه طعن على الدين الإسلامي في مواضع أربعة من كتابه :

الأول : أن المؤلف أهان الدين الإسلامي بتكذيب القرآن في إخباره عن إبراهيم وإسماعيل حيث ذكر في ص ٣٦ من كتابه : " للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثت بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها ، ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الإسلام واليهود والقرآن والتوراة من جهة أخرى " إلى آخر ما جاء في هذا الصدد .

الثاني : ما تعرَّض له المؤلف في شأن القراءات السبع المجمع عليها والثابتة لدى المسلمين جميعاً وأنه في كلامه عنها يزعم عدم إنزالها من عند الله وأن هذه القراءات إنما قرأتها العرب حسب ما استطاعت لا كما أوحى الله بها إلى نبيه مع أن معاشر المسلمين يعتقدون أن كل هذه القراءات مروية عن الله تعالى على لسان النبي ﷺ.

الثالث : ينسبون للمؤلف أنه طعن في كتابه على النبي طعناً فاحشاً من حيث نسبه فقال في ص ٧٢ من كتابه " ونوع آخر من تأثير الدين في انتحال الشعر وإضافته إلى الجاهليين وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبي من حيث أسرته ونسبه إلى قريش فلأمر ما اقتنع الناس بأن النبي ﷺيجب أن يكون من صفوة بني هاشم ، وأن يكون بنو هاشم صفوة بني عبد مناف وأن يكون بنو عبد مناف صفوة بني قصي وأن تكون قصي صفوة قريش وقريش صفوة مضر ومضر صفوة عدنان وعدنان صفوة العرب والعرب صفوة الإنسانية كلها " .

وقالوا أن تعدي المؤلف بالتعريض بنسب النبي ﷺ والتحقير من قدره تعد على الدين وجرم عظيم يسيء إلى المسلمين والإسلام فهو قد اجترأ على أمر إذ لم يسبقه إليه كافر ولا مشرك .

الرابع : أن الأستاذ المؤلف أنكر أن للإسلام أولية في بلاد العرب وأنه دين إبراهيم إذ يقول في ص ٨٠ : " أما المسلمون فقد أرادوا أن يثبتوا أن للإسلام أولية في بلاد

العرب كانت قبل أن يبعث النبي وأن خلاصة الدين الإسلامي وصفوته هي خلاصة الدين الحق الذي أوحاه إلى الأنبياء من قبل " إلى أن قال ف ص ٨١ " وشاعت في العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده (ص ٥٨) فكرة أن الإسلام يجدد دين إبراهيم ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين إبراهيم هذا قد كان دين العرب في عصر من العصور ثم أعرضت عنه لما أضلها به المضلون وانصرفت إلى عبادة الأوثان " .. إلى آخر ما ذكره في هذا الموضوع . " [1]

كان هذا هو موضوع الشكوى وأولى حيثيات المحاكمة القانونية التي تعرض لها .

ومما ذكره النائب العمومي بعد التحقيق في الاتهامات الأربعة الموجهة لطه حسين :

" إن الأستاذ المؤلف أخطأ فيما كتب وأخطأ أيضاً في تفسير ما كتب وهو في هذه النقطة قد تعرض بغير شك لنصوص القرآن وليس في وسعه الهرب بادعائه البحث العلمي منفصلاً عن الدين ، فليفسر لنا إذن قوله تعالى في سورة النساء : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء:١٦٣] وقوله في سورة مريم﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤١] و ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٤] وفي آل عمران ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:٨٤] .

وغير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التي ورد فيها ذكر إبراهيم وإسماعيل ، لا على سبيل المثال كما يدعي حضرته ، وهل عَقْل الأستاذ سليم بأن الله سبحانه وتعالى يذكر في كتابه أن إبراهيم نبي وان إسماعيل رسول نبي مع أن القصة مُلَفَّقة ،

([1]) خيري شلبي " محاكمة طه حسين " مرجع سابق ص ٥٥ – ٥٩ .

وماذا يقول حضرته في موسى وعيسى وقد ذكرهما الله سبحانه وتعالى في الآية الأخيرة مع إبراهيم وإسماعيل وقال في حقهم جميعاً لا نفرق بين أحد منهم ، وهل يرى حضرته أن قصة موسى وعيسى من الأساطير أيضاً قد ذكرها الله تعالى وسيلة للاحتجاج أو للهداية كما فعل في قصة إبراهيم وإسماعيل ما دامت الآية تقضي بأن لا نفرق بين أحد منهم ، الحق أن المؤلف في هذه المسالة يتخبط تخبط الطائش . [١]

... ونحن لا نفهم كيف أباح المؤلف لنفسه أن يخلط بين الدين وبين العلم وهو القائل بان الدين يجب أن يكون بمعزل عن هذا النوع من البحث الذي هو بطبيعته قابل للتغيير والنقض والشك والإنكار " ص ٢٢ من محضر التحقيق " وإننا حين نفصل بين العلم والدين نضع الكتب السماوية موضع التقديس ونعصمها من إنكار المنكرين وطعن الطاعنين " ص ٢٤ من محضر التحقيق " ولا ندري لم يفعل غير ما يقول في هذا الموضوع . [٢]

.. أما مسألة بناء الكعبة فلم يفهم الحكمة في نفيها واعتبارها أسطورة من الأساطير فلم نفهم اللهم إلا إذا كان مراده إزالة كل أثر لإبراهيم وإسماعيل ولكن ما مصلحة المؤلف من هذا ؟ الله أعلم بمراده . [٣]

كان ملخص ما جاء في تقرير النائب العمومي عن الاتهام الأول الذي وُجِّه إلى طه حسين في كتابه " في الشعر الجاهلي " وعن الاتهام الثاني الخاص بالقراءات السبع يقول النائب العمومي :

" المؤلف لم يتعرَّض لمسألة القراءات من حيث إنها منزلة أو غير منزلة وإنما قال كثرت القراءات وتعدد اللهجات وقال إن الخلاف الذي وقع في القراءات تقتضيه ضرورة اختلاف اللهجات بين قبائل العرب التي لم تستطع أن تغير حناجرها وألسنتها

([1]) خيري شلبي " محاكمة طه حسين " مرجع سابق ص٧٨ ، ٧٩ .
([2]) نفسه ص ٨١
([3]) نفسه ص ٨٢

وشفاهها فهو بهذا يصف الواقع ، وإن صحَّ رأى من قال إن المقصود بالأحرف السبعة هو القراءات السبع فإن هذه الاختلافات التي كانت واقعة فعلاً كانت طبعاً هي السبب الذي دعا إلى الترخيص للنبي بأن يقرئ كل قوم بلغتهم حيث قال " إنه قد وسع لي أن أقرئ كل قوم بلغتهم " ... ونحن نرى أن ما ذكره المؤلف في هذه المسالة هو بحث علمي لا تعارض بينه وبين الدين لا اعتراض لنا عليه . " [١]

وعن الاتهام الثالث الخاص بالطعن في النبي طعناً فاحشاً من حيث نسبه قال النائب العمومي : "

" والأسباب التي يعتقد (طه حسين) أنها دعت المسلمين إلى انتحال الشعر وأنه كان يقصد بالانتحال في بعض الأطوار إلى إثبات صحة النبوة وصدق النبي وكان هذا النوع موجهاً إلى عامة الناس وقال بعد ذلك : والغرض من هذا الانتحال على ما يرجح إنما هو إرضاء حاجات العامة الذين يريدون المعجزة في كل شيء ولا يكرهون أن يقال لهم إن دلائل صدق النبي في رسالته أنه كان منتظراً قبل أن يجيء بدهر طويل ثم وصل إلى ما يتعلق بتعظيم شأن النبي من ناحية أسرته ونسبه في قريش .

ونحن لا نرى اعتراضاً على بحثه على هذا النحو (فيما يتعلق بتشكيك طه حسين من ناحية أسرته ونسبه في قريش) من حيث هو وإنما كل ما نلاحظه عليه أنه تكلم فيما يختص بأسرة النبي ﷺ ونسبه في قريش بعبارات خالية من كل احترام بل وبشكل تهكمي غير لائق ولا يوجد في بحثه ما يدعوه لإيراد العبارة على هذا النحو " [٢]

أما الاتهام الرابع والأخير الذي وجه إلى طه حسين والخاص بسبب قوله " وشاعت بين العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده فكرة أن الإسلام يجدد دين إبراهيم ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين إبراهيم هذا قد كان دين العرب في عصر من العصور ثم أعرضت عنه لما أضلها وانصرفت إلى عبادة الأوثان " .

([1]) نفسه ص ٨٧ .

([2]) خيري شلبي " محاكمة طه حسين " مرجع سابق ص ٣١ .

يقول النائب العمومي : " وقد قرر المؤلف في التحقيق أنه لم ينكر أن الإسلام دين إبراهيم ولا أن له أولية في العرب وأن شأن ما ذكره في هذه المسألة كشأن ما ذكره في مسألة النسب : رأى القصاص اقتناع المسلمين بان للإسلام أولية وبأنه دين إبراهيم فاستغلوا هذا الاقتناع وأنشئوا جول هذه المسالة من الشعر والأخبار مثل ما انشئوا حول مسالة النسب .

ونحن لا نرى اعتراضاً على أن يكون مراده بما كتب في هذه المسالة هو ما ذكره، ولكننا نرى أنه كان سيئ التعبير جداً في بعض عباراته كقوله : " ولم يكن أحد قد احتكر ملة إبراهيم ولا زعم لنفسه الانفراد بتأويلها فقد أخذ المسلمون يردون الإسلام في خلاصته إلى دين إبراهيم هذا الذي هو أقدم وأنقى من دين اليهود والنصارى كقوله وشاعت في العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده فكرة أن الإسلام يجدد دين إبراهيم ، ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين إبراهيم هذا قد كان دين العرب في عصر من العصور .. " لان في إيراد عباراته على هذا النحو ما يشعر بأنه يقصد شيئاً آخر بجانب هذا المراد خصوصاً إذا قربنا بين هذه العبارات وبين ما سبق له أن ذكره بشأن تشككه في وجود إبراهيم وما يتعلق به . " [1]

منطوق الحكم في قضية طه حسين

ويختم النائب العام تقريره بذكر حكمه وحيثيات على النحو التالي : " إن أغلب ما كتبه المؤلف مما يمس موضوع الشكوى وهو ما قصرنا بحثنا عليه إنما هو تخيلات وافتراضات واستنتاجات لا تستند إلى دليل علمي صحيح فإنه كان يجب عليه أن يكون حريصاً في جرأته على ما أقدم عليه مما يمس الدين الإسلامي الذي هو دينه ودين الدولة التي هو من رجالها المسئولين عن نوع من العمل فيها وأن يلاحظ مركزه الخاص في الوسط الذي يعمل فيه – صحيح أنه ما كتب عن اعتقاد بأن بحثه العلمي يقتضيه ولكنه مع هذا كان مقدراً لمركزه تماماً وهذا الشعور ظاهر من عبارات كثيرة

([1]) خيري شلبي " محاكمة طه حسين " مرجع سابق ص ٩٧- ٩٩ .

في كتابه منها قوله : وأكاد أثق بأن فريقاً منهم سيلقونه ساخطين عليه وبأن فريقاً آخر سيزورُّون عنه ازوراراً ولكني على سخط أولئك ازورار هؤلاء أريد أن أذيع هذا البحث.

إن للمؤلف فضلاً لا ينكر في سلوكه طريقاً جديداً للبحث حذا فيه حذو العلماء من الغربيين ولكنه لشدة تأثير نفسه مما أخذ عنهم قد تورَّط في بحثه حتى تخيل حقاً ما ليس بحق أو ما لا يزال في حاجة إلى إثبات إنه حق إنه قد سلك طريقاً مظلماً فكان يجب عليه أن يسير على مهل وأن يحتاط في سيره حتى لا يضل ولكنه أقدم بغير احتياط فكانت النتيجة غير محمودة .

وحيث إنه مما تقدم يتضح أن غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتعدي على الدين بل إن العبارات الماسة بالدين التي أوردها في بعض المواضع من كتابه إنما قد أوردها في سبيل البحث العلمي مع اعتقاده أن بحثه يقتضيها .

وحيث إنه من ذلك يكون القصد الجنائي غير متوفر " فلذلك " تحفظ الأوراق إدارياً .

محمد نور

رئيس نيابة مصر

القاهرة في ٣٠ مارس سنة ١٩٢٧[1]

كتاب في الأدب الجاهلي

وبعد نحو شهر من صدور قرار النيابة بإقرار صحة بعض التهم الموجهة إلى الكتاب لذا أمرت بحظر نشره ومصادرة ما تمَّ طبعه ، وتبرئة الكاتب لعدم توفر القصد الجنائي في التهم المُدَان فيها – قام طه حسين في ١١ مايو ١٩٢٧ بنشر الطبعة الثانية من الكتاب بعنوان " في الأدب الجاهلي " .

([1]) خيري شلبي " محاكمة طه حسين " المؤسسة العربية ببيروت ص ٩٠ ، ٩١ .

يقول الكاتب في مقدمة الطبعة الثانية " هذا كتاب السَّنة الماضية ،وحذف منه فصل وأثبت مكانه فصل وأضيفت إليه فصول ، وغير عنوانه بعض التغيير .وأنا أرجو أن أكون قد وُفِّقت في هذه الطبعة الثانية إلى حاجة الذين يريدون أن يدرسوا الأدب العربي عامة والجاهلي خاصة من مناهج البحث ، وسبل التحقيق في الأدب وتاريخه . وهو على كل حال خلاصة ما يلقى على طلاب الجامعة في السنتين الأولى والثانية في كلية الآداب . " [1]

هذا هو النص الكامل لمقدمة الطبعة الثانية التي لم يتطرَّق الكاتب فيها البتة لموضوع الهجوم الذي تعرَّض له والمحاكمة التي مَثَل أمامها ، وبعد أن كان عدد صفحات كتاب الشعر الجاهلي نحو ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط بلغت صفحات كتاب الأدب الجاهلي نحو ٣٦٠ صفحة من نفس القطع .

وحذف الكاتب منه مواضع اتهامات خصومه وتأييد المحكمة صحتها ، كما حذف مقدمة الطبعة الأولى تماماً ، وإن ضمَّن بعضها في بعض فصول الكتاب .

ملابسات فصل طه حسين من الجامعة

ولم يتوقف الأمر عند تبرئة النيابة طه حسين من التهم الموجهة إليه وحفظ القضية ، وردِّ الكُتَّاب على آرائه وتفنيدها ، ودحض الشبهات التي أثارها في الصحف وفي الكتب [2]وحذف الكاتب مواضع الاتهامات في الطبعة الثانية للكتاب ، بل إن بعض الساسة ونواب البرلمان دأبوا على تعقُّبه والهجوم عليه وتقديم استجوابات ضده في مجلس النواب إلى أن تمَّ فصله من خدمة الحكومة .

([1]) د . طه حسين " في الأدب الجاهلي " لجنة التأليف والترجمة والنشر مقدمة الكتاب

([2]) قام عدد كبير من العلماء والكتاب بالرد على كتاب " في الشعر الجاهلي " أشهرهم : شيخ الأزهر محمد الخضر حسين، في كتاب نقض كتاب في الشعر الجاهلي ، ومصطفى صادق الرافعي، في كتابه تحت راية القرآن، محمد فريد وجدي، في كتابه المسمى أيضا نقض كتاب في الشعر الجاهلي ، محمد لطفي جمعة، في كتابه الشهاب الراصد، محمد أحمد الغمراوي، في كتابه النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي .

في ٣١ / ٣/ ١٩٣٢ قرر مجلس الوزراء فصل طه حسين من خدمة الحكومة وجاء ذلك نتيجة للتحقيقات التي أظهرت كثيراً من التصرفات وبعد أن مرت عدة إجراءات في مقدمتها استجواب د. عبد الحميد سعيد في مجلس النواب (٣/٦ / ١٩٣٢) . وأشير إلى الأخطاء التي اتصلت بإنشاء معهد التمثيل والرقص التوقيعي الذي أنشأه الدكتور ، وما يتصل بها من صورة نشرت في الأهرام عدد ١٦٩٥٩ تمثل طلبة المعهد وقد جلست كل شابة إلى جانب شاب .

كما أشير إلى تحريض الدكتور طه لأساتذة الجامعة بالامتناع عن التدريس في كليات الأزهر وأن هذا يهدف إلى محاربة هذا المعهد الإسلامي وأشير إلى محاباة الدكتور طه لبعض الأساتذة الأجانب رعاية لجنسيتهم بالرغم من عدم كفايتهم الإدارية وعدم كفاءتهم العلمية ، وأن هناك اتصالات مباشرة بهيئات سياسية أجنبية بشأن توظيف الموظفين في الجامعة مما يؤدي أحياناً إلى خلق صعوبات . [1]

مأزق طه حسين في الكتابة

في هذه الأجواء وتلك الأحداث كتب طه حسين " على هامش السيرة " وهو كتاب ليس في الأدب العربي أو التاريخ اليوناني ولا حتى في السياسة المصرية إنما في السيرة النبوية ، كتب طه حسين كتاباً دينياً بعد سبع سنوات من محاكمته بسبب كتاب في الشعر الجاهلي تعرَّض فيه لبعض المسائل الدينية ، وبعد نحو عام فقط من فصله من الجامعة بسبب آرائه الدينية وغير الدينية !

تُرى ماذا يكتب طه حسين في هذا الكتاب ؟ وأي منهج سينهج ؟

هل سينهج منهج ديكارت " الشك " الذي تعرَّض بسببه لما تعرَّض له ؟هل سيروِّج لآراء مرجليوث ، وجب ، ولوميتر ، ودرمنجم... الصادمة للمسلمين كما فعل في الشعر الجاهلي والأدب الجاهلي ؟

([1]) الأهرام ١٩٣٢/٤/٣ ، الصحف ٩/ ٣/ ١٩٣٢ نقلا عن أنور الجندي " طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام " دار الاعتصام ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

أم سينهج نهج علماء الدين الإسلامي ؟ ويروِّج لآراء يُرضى عنها وعنه ؟

أو بمعنى آخر هل سيسترضي خصومه ؟ ويكفِّر عما وقع فيه من أخطاء ؟

وإذا فعل هذا أو ذاك أيفعله إيماناً واقتناعاً أم تقيِّة وخداعاً ؟!

العجيب أن كتاب " على هامش السيرة " بعد نشره عَدَّه أنصار طه حسين وتلامذته رِدَّة عن منهج التجديد والتنوير الذي بدأه ، وتخييباً لآمالهم المعقودة عليه ، وخيانة لمبادئ نادى هو بها وآمنوا هم بها ، وتولي عن الزحف بعد احتداما لقتال ، بل إنه لم يكتف بالانسحاب من ساحة القتال إنما انضمَّ إلى أعدائهم لمَّا تعرَّض للخطر في منصبه ورزقه .

قال أحمد أمين أحد أصدقاء طه حسين " حدث في تاريخ مصر الحديث أن جماعة تسلَّحوا بالشجاعة الأدبية فأظهروا آراءهم في صراحة ولم يبالوا الرأي العام سواء في بحوثهم ونقدهم وقد كانت البذرة الأولى للشجاعة الأدبية في مصر فألَّفوا كتباً عبَّرُوا فيها عن آرائهم في جلاء ووضوح وكتبوا مقالات تعبِّر عما يعتلج في نفوسهم ولكن هذا الصراع انتهى بهزيمة هذه الطليعة من المفكرين وتعرَّضوا للخطر في مناصبهم وأرزاقهم ، وشعر القائمون بهذه الحركة الجديدة أنهم أصيبوا في سُمْعَتهم وفي مناصبهم وفي مالهم ثم رأوا أن أتباعهم تخلُّوا عنهم ومن عَطَفَ عليهم فَعَطْف أفلاطوني وكان الرأي العام قوياً مُسلَّحاً ؛ فتغلَّب وانتقم وكان له السلطة التامة وانهزم أمامه فريق المفكرين هزيمة منكرة فاضطر إلى التسليم بل وفي بعض الأحيان رجع عن رأيه إلى آرائهم ومن منهجه إلى منهجهم ، وتعوَّد المجاراة بدل المقاومة والمداراة مكان الصراحة . "

وكان أحمد أمين يشير بهذا كله إلى موقف طه حسين الذي كتب يقول : " إن رأيك يمسني وأؤكد لك أنه يحفظني (يغضبني) ويؤذيني أكثر مما أحفظني وآذاني كل ما لقيت من ألوان المشقة والإعنات فهل من الحق أن هؤلاء الكتَّاب الذين تشير

إليهم قد أدركهم الضعف والوهن فمالئوا الجمهور وصانعوا السلطان وآثروا العافية في أنفسهم وأموالهم ومناصبهم " [١]

وعدَّ خصوم طه حسين كتاب " على هامش السيرة " استمراراً في منهجه الرامي إلى الطعن في الدين وتضليل المسلمين ، وإن تغيَّرت الوسيلة إنما الهدف ثابت .

يقول د. محمد حسين هيكل عن تحول طه حسين من الشعر الجاهلي إلى هامش السيرة " لقد كان الرجل الذي لا يخضع لغير محكمة النقد والعقل إلى رجل كلف بالأساطير يعمل لإحيائها سبباً لكثير من التساؤل بين الباحثين إذ إن طه حسين وقد فشل في أن يثبت أغراضه عن طريق العقل والبحث العلمي لجأ إلى الأساطير فينمقها ويقدمها للشعب إظهاراً لما فيها من أوهام في الظاهر تفتن الناس ولكنها في الواقع تبعدهم عن أوهامها لأن روح العصر لا تحتملها ، ثم كان التحول من إغاظة الجماهير إلى نفاقهم ، عندما عجز الأسلوب الأول أن يحقق الهدف الذي يتطلع إليه هو ومن وراءه . " [٢]

وهكذا قد خسر طه حسين بكتابه " على هامش السيرة " أنصاره ولم يكسب خصومه ، وإن كسب شهرة واسعة، وذيوع الصيت فقد أصبح حديث المثقفين والسياسيين بل حديث الناس كذلك.

وبعد أن بيَّنا الأجواء التي كتب طه حسين كتابه ورد فعل الأنصار والخصوم تجاه ما كتب نبدأ في مناقشة هدف الكاتب من تأليف كتابه ، والمنهج الذي نهجه في تأليفه ومدى ملاءمة هذا المنهج لموضوع الكتاب ودوافع الكاتب لتغيير منهجه في التأليف ، ثم نذكر مدى التزام الكاتب بتطبيق منهجه في الكتاب ، والقضايا محل الخلاف التي تناولها الكاتب في كتابه ، وآراء معاصره فيما كتب .

---

(1) نقلاً عن أنور الجندي " طه حسين حياته وفكر، في ميزان الإسلام " دار الاعتصام ص ١٦٤

(2) أنور الجندي " طه حسين حياته وفكر، في ميزان الإسلام " دار الاعتصام ص ١٦٤

طه حسين بين : الشعر الجاهلي ، وعلى هامش السيرة

يقول طه حسين في مقدمة كتابه " على هامش السيرة " : " هذه صحف لم تُكتب للعلماء ولا للمؤرخين ؛ لأني لم أُرِد بها إلى العلم ، ولم أقصد بها إلى التاريخ . وإنما هي صورة عرضت لي أثناء قراءتي للسيرة فأثبتها مسرعاً ، ثم لم أَرَ بنشرها بأساً . ولعلي رأيت في نشرها شيئاً من الخير؛ فهي تردُّ على الناس أطرافاً من الأدب القديم قد أفلتت منهم وامتنعت عليهم ، فليس يقرؤها منهم إلا أولئك الذين أتيت لهم ثقافة واسعة عميقة في الأدب العربي القديم . وإنك لتلتمس الذين يقرءون ما كتب القدماء في السيرة وحديث العرب قبل الإسلام فلا تكاد تظفر بهم . " [١]

ويبدو أثر الهجوم الذي تعرَّض له طه حسين بعد كتابه " في الشعر الجاهلي " والخطر الذي تعرَّض له في منصبه وماله فقد ذكر في أول جملة أنه تخلَّى عن منهج العلم والفلسفة الذي اتبعه والذي قال عنه في كتاب الشعر الجاهلي : "سأسلك هذا الجو من البحث مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة فيما يتناولون من العلم والفلسفة ، أريد أن أصطنع هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه ديكارت للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث ، والناس جميعاً يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل ، وان يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قبل خلوّاً تاماً . والناس جميعاً يعلمون أن هذا المنهج الذي سخط عليه أنصار القديم في الدين والفلسفة يوم ظهر قد كان من أخصب المناهج وأقواها وأحسن أثراً ، وأنه قد جوَّد العلم والفلسفة تجويداً ، وأنه قد غيَّر مذاهب الأدباء في أدبهم والفنانين في فنونهم ، وأنه هو الطابع الذي يتميز به هذا العصر الحديث " [٢]

من أول جملة في كتاب " على هامش السيرة " يعلن طه حسين تخليه عن المذهب الذي قال عنه أنه أخصب المناهج وأقواها وأحسنها أثراً ، المنهج الذي جوَّد العلم

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ص ٧ .

([2]) د . طه حسين " في الشعر الجاهلي " دار المعارف للطباعة والنشر سوسة – تونس ص ٢٣ ، ٢٤

والفلسفة المنهج الذي ميَّز العصر الحديث !! بل ينصح العلماء والمؤرخين ألا يقرءوا هذا الكتاب لأنه ليس كتاب علم ولا تاريخ ولم يكتبه للعلماء ولا للمؤرخين ، منذ الجملة الأولى يبدو الكاتب خائفاً من النقد حريصاً على أن يزهِّد العلماء والمؤرخين في قراءة الكتاب ونقده ؛ وألا يقبلوا على قراءة كتاب لا غناء فيه بالنسبة لهم !!

وبعد أن كان لا يعبأ برضا الناس أو سخطهم وأن الذي يرضيه فقط هو أن يصرح بما يؤمن به فهو الذي قال في كتاب الشعر الجاهلي : " هذا نحو من البحث عن تاريخ الشعر العربي جديد لم يألفه الناس عندنا من قبل .وأكاد أثق بأن فريقاً منهم سيلقونه ساخطين عليه وبأن فريقاً آخر سيزورُّون عنه ازوراراً ولكني علي سخط أولئك وازورار هؤلاء أريد أن أذيع هذا البحث أو بعبارة أصح أريد أن أقيده فقد أذعته قبل اليوم حين تحدثت به إلي طلابي في الجامعة .

وليس سرّا ما تتحدث به إلي أكثر من مائتين . ولقد اقتنعت بنتائج هذا البحث اقتناعاً ما أعرف أني شعرت بمثله في تلك الموقف المختلفة التي وقفتها من تاريخ الأدب العربي.

وهذا الاقتناع القوي هو الذي يحملني علي تقييد هذا البحث ونشره في هذه الفصول غير حافل بسخط الساخط ولا مكترث بازورار المزورِّ ." [1]

ونكص الكاتب في هذا الكتاب على عقبيه ، وراح يؤثر السلامة ، والحياة الهادئة المطمئنة ، وتذوُّق لَذَّات العيش في دعة ورضا بعدما تعرَّض للخطر في منصبه وماله ، وكان قد سبق أن قال في كتاب الشعر الجاهلي: " ولست أمتدح بأن أتعرَّض للأذى ، وربما كان الحق أني أحب الحياة الهادئة المطمئنة ، وأريد أن أتذوق لذَّات العيش في دعة ورضا ، ولكني مع ذلك أحب أن أفكِّر ، وأحب أن أبحث ، وأحب أن أعلن إلى الناس ما أنتهي إليه بعد البحث والتفكير ، ولا أكره أن آخذ نصيبي من رضا

([1]) د . طه حسين " في الشعر الجاهلي " دار المعارف للطباعة والنشر سوسة – تونس ص ١٣

الناس عني أو سخطهم حين أعلن إليهم ما يحبون أو يكرهون . وإذن فلأعتمد على الله ، ولأحدّثك بما أحب أن أحدثك به في صراحة وأمانة وصدق ، ولأجتنب في هذا الحديث هذه الطرق التي يسلكها المهرة من الكتاب ليدخلوا على الناس ما لم يألفوا في رفق ولين وأناة وشيء من الاحتياط كثير " [1]

إذن طه حسين في كتاب الشعر الجاهلي قرر أن يتجنب الرفق والأناة والاحتياط فيما يكتب وأن يصدم الناس أو يفجؤهم على حد تعبيره ، وفي كتاب على هامش السيرة يريد إرضاء الناس ويرفق ويتأنى ويحتاط فيما يكتب ، ولم يذكر لنا الكاتب الدافع وراء هذا التغيير الجذري في الكتابة للناس .

وبعد أن ذكر الكاتب أن هدف هذا الكتاب ليس العلم ولا الفلسفة ولا يخاطب به العلماء ولا الفلاسفة بيَّن هدفه من هذا الكتاب وهو إعادة صياغة القصص التي ذكرها القصاصون في الأدب والتاريخ وتيسير هذه القصص للقراء المعاصرين ولفتهم إليها وتشويقهم لقراءتها لمَّا وجدهم مقبلين على الأدب الأجنبي وفي هذا يقول : " يقرأ الناس اليوم ما يكتب لهم المعاصرون في الأدب الحديث بلغتهم أو بلغة أجنبية من هذه اللغات المنتشرة في الشرق ، يجدون في قراءة هذا الأدب من اليسر والسهولة ومن اللذة والمتاع ، ما يغريهم به ويرغبهم فيه ، فأما الأدب القديم فقراءته عسيرة ، وفهمه أعسر ، وتذوقه أشد عسراً . وأين هذا القارئ الذي يطمئن إلى قراءة الأسانيد المطولة ، والأخبار التي يلتوي بها الاستطراد ، وتجور بها لغتها القديمة الغريبة عن سبيل الفهم السهل والذوق الهين الذي لا يكلف مشقة ولا عناء !

ذلك إلى أن الأدب القديم لم ينشأ ليبقى كما هو ثابتاً مستقرّاً ، ولا يتغير ولا يتبدَّل ، ولا يلتمس الناس لذته إلا في نصوصه يقرءونها ويعيدون قراءتها ويستظهرونها . " [2]

([1]) د . طه حسين " في الشعر الجاهلي " دار المعارف للطباعة والنشر سوسة – تونس ص ١٨ ، ١٩

([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ص ٧ .

ويرى طه حسين أن في الأدب العربي قصصاً لا تقل متعة ولذة من الأدب الأجنبي لذا يرى أن الناس المحبين للقصص المقبلين على قراءة القصص الأجنبي أولى بهم أن يقرءوا قصصهم العربية فسيجدون فيه اللذة والمتعة التي ينشدونها .

وفي ذلك يقول : " وفي أدبنا العربي على قوته الخاصة ، وما يكفل للناس من لذة ومتاع ، قدرة على الوحي ، وقدرة على الإلهام . فأحاديث العرب الجاهليين وأخبارهم لم تكتب مرة واحدة ، ولم تحتفظ في صورة بعينها ، وإنما قصَّها الرواة في ألوان من القصص ، وكتبها المؤلفون من صنوف التأليف " [١]

ويلحق طه حسين السيرة النبوية وما تشتمل عليه من الغزوات والفتوح والفتن والملاحم بالقصص العربي فبعد حديثه السابق عن ألوان القصص العربي يقول : " وقُلْ مثل ذلك في السيرة نفسها ؛ فقد ألهمت الكتاب والشعراء في أكثر العصور الإسلامية وفي أكثر البلاد الإسلامية أيضاً ؛ فصوَّروها صوراً مختلفة تتفاوت حظوظها من القوة والضعف والجمال الفني . وقُلْ مثل هذا في الغزوات والفتوح ، وقُلْ مثل هذا في الفتن والمحن التي أصابت العرب في العصور المختلفة . ولم يقف إلهام هذا التراث الأدبي العظيم عند الكتَّاب والشعراء الذين ينمِّقون النثر ويقرضون الشعر ، في اللغة الفصحى ، بل جاوزهم إلى جماعة من القصاص الشعبيين الذين تحدَّثوا إلى الناس في صور مختلفة وأشكال متباينة " [٢]

حتى القصص الشعبي وما يسميه العلماء قصص الوعاظ يدخل أيضاً في دائرة كتابه ، بل ويعتبر طه حسين أن هذا القصص العربي يجب أن يلهم الأدباء فيتخذونه مادة لإبداعهم ومجالاً لفنونهم لإحياء هذا التراث القصصي وتجديده . فيقول : " ولا خير في حياة القدماء إذا لم تُلهم المحدثين ولم توح إليهم رائع البيان شعراً ونثراً " [٣]

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ص ٩ .
([2]) نفسه ص ٩ .
([3]) نفسه ص ٩ .

وهنا يوضِّح طه حسين بجلاء لا يقبل تأويلاً هدفه من تأليف هذا الكتاب فيقول : " إلى هذا النحو من إحياء الأدب القديم ، ومن إحياء ذكر العرب الأولين، قصدت حين أمليت فصول هذا الكتاب ... وإذا استطاع هذا الكتاب أن يُلقي في نفوس الشباب حب الحياة العربية الأولى ، ويلفتهم إلى أن في سذاجتها ويسرها جمالاً ليس أقل روعة ولا نفاذاً إلى القلوب من هذا الجمال الذي يجدونه في الحياة الحديثة المعقدة فأنا سعيد موفَّق لبعض ما أريد . " [١]

فهدف طه حسين أولاً تحبيب الشباب في قراءة القصص العربي القديم طلباً للمتعة، وهدفه الثاني هو دفع الشباب إلى اتخاذ هذه القصص العربية موضوعاً للتأليف في الأدب والتاريخ . يقول طه حسين : " وإذا استطاع هذا الكتاب أن يدفع الشباب إلى استغلال الحياة العربية الأولى، واتخاذها موضوعاً قيِّمًا خصباً لا للإنتاج العلمي في التاريخ والأدب الوصفي وحدها ، بل كذلك للإنتاج في الأدب الإنشائي الخاص ، فأنا سعي مُوَفَّق لبعض ما أريد ." [٢]

ويتوقَّع طه حسين أن يضيق أصحاب العقول والفكر ، وكان هو أحد أئمتهم بالأمس القريب ، بأخبار الكتاب وأحاديثه كما كان يضيق العلماء بقصص الوعاظ التي تلهي العامة عن العلوم النافعة والمعارف المفيدة فيقول : " وأنا أعلم أن قوماً سيضيقون بهذا الكتاب ؛ لأنهم مُحْدثون يُكبرون العقل ، ولا يثقون إلا به ، ولا يطمئنون إلا إليه . وهم لذلك يضيقون بكثير من الأخبار والأحاديث التي لا يسيغها العقل ولا يرضاها . وهم يشكون ويلحُّون في الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الأخبار ... وهم يجاهدون في صرف الشعب عن هذه الأخبار والأحاديث ، واستنقاذه من سلطانها الخطر المفسد للعقول . هؤلاء سيضيقون بهذا الكتاب بعض الشيء ؛ لأنهم سيقرءون فيه طائفة من هذه الأخبار والأحاديث التي نصبوا أنفسهم لحربها ومحوها من نفوس الناس .

([1]) نفسه ص ٩، ١٠ .

([2]) نفسه ص ١٠ .

وأحب أن يعلم هؤلاء أن العقل ليس كل شيء ، وأن للناس ملكات أخرى ليست أقل حاجة إلى الغذاء والرضا من العقل ، وأن هذه الأخبار والأحاديث إذا لم يطمئن إليها العقل ، ولم يرضها المنطق ، ولم تستقم لها أساليب التفكير العلمي ، فإن في قلوب الناس وشعورهم وعواطفهم وخيالهم وميلهم إلى السذاجة، واستراحتهم إليها من جهد الحياة وعنائها ، ما يحبب إليهم هذه الأخبار ويرغبهم فيها ، ويدفعهم إلى أن يلتمسوا عندها الترفيه على النفس حين تشق عليهم الحياة . [1]

ويعترف طه حسين أن هذا الكتاب ليس كتاب علم يخاطب عقل القارئ إنما هو كتاب تسلية وينبغي على القارئ ألا يعوِّل على صحة ما جاء في الكتاب من معلومات وآراء فهو كتاب تسلية لذا يقول : " وفرق عظيم بين من يتحدث بهذه الأخبار إلى العقل على أنها حقائق يقرُّها العلم وتستقيم لها مناهج البحث ، ومن يقدمها إلى القلب والشعور على أنها مثيرة لعواطف الخير ، صارفة عن بواعث الشر، معينة على إنفاق الوقت واحتمال أثقال الحياة وتكاليف العيش . " [2]

وبهذا يكون طه حسين قد نقض غزْله أَنْكَاثًا من بعد ما أظهر من قوة الدعوة إليه والدفاع عنه ، وأتي الكاتب بنيانه من القواعد ذلك البنيان الذي ظنه أنصاره حصنهم الذي يصد عنهم هجوم الخصوم والمعارضين . نقض غَزْله الذي نسجه من العلم وحاكه بالعقل ، وأتى على بنيانه الذي أسسه على نهج ديكارت ورفع قواعده على أفكار مرجليوث .

وبعد أن كان يدعو في كتابه في الشعر الجاهلي إلى إعمال العقل والتمسك بمناهج البحث العلمي الصحيح ، ويحذِّر من تأثير العواطف الدينية والقومية وما يتصل بهما على البحث العلمي صار يحتكم إلى القلب ويخاطب الشعور ويدعو إلى الاستمتاع بالقصص القومي والديني وإن كان أسطوريّاً !!

([1]) نفسه ص ١٠ .

([2]) نفسه ص ١٠ .

يقول طه حسين في كتابه الشعر الجاهلي : " نعم ! يجب حين نستقبل البحث من الأدب العربي وتاريخه أن ننسى قويتنا وكل مشخَّصاتها ، وأن ننسى ديننا وكل ما يتصل به ، وأننا ننسى ما يضاد هذه القومية وما يضاد هذا الدين ، يجب ألا نتقيد بشيء ولا نذعن لشيء إلا مناهج البحث العلمي الصحيح . ذلك أنَّا إذا لم ننس قوميتنا وديننا وما يتصل بهما من فسنضطر إلى المحاباة وإرضاء العواطف ، وسنغل عقولنا بما يلائم القومية وهذا الدين . وهل فعل القدماء غير هذا ؟ وهل أفسد علم القدماء غير هذا ؟ " [1]

ولم يكتف طه حسين برواية قصص العرب القدماء كما جاءت في كتب السير والتاريخ إنما يتجاوز ذلك إلى اختلاق أحاديث لم يذكرها الرواة والمؤرخون إلا فيما يتعلق بالنبي ﷺ وأمور الدين وفي هذا يقول : " وأحب أن يعلم الناس أيضاً أني وسعَّت على نفسي في القصص ، ومنحتها من الحرية في رواية الأخبار واختراع الحديث ما لم أجد به بأساً ، إلا حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبي ، أو بنحو من أنحاء الدين ؛ فإني لم أبح لنفسي في ذلك حرية ولا سعة، وإنما التزمت ما التزمه المتقدمون من أصحاب السيرة والحديث ، ورجال الرواية ، وعلماء الدين ." [2]

ولا يتعجَّل القارئ العزيز فيظن أن طه حسين سوف يعتمد على القرآن الكريم والكتب الدينية المشهود لها بالدقة والأمانة مثل كتب الأحاديث الصحيحة وكتب السيرة المُحقَّقة إنما يكتفي فقط بالاعتماد على ثلاثة كتب فقط فيها الصحيح والضعيف بل المكذوب المُخْتَلَق أيضاً يقول طه حسين متحدِّثاً عن مصادر كتابه : " ولن يتعب الذين يريدون أن يردُّوا فصول هذا الكتاب القديم في جوهره وأصله ، الجديد في صورته وشكله ، إلى مصادره القديمة التي أخذ منها . فهذه المصادر قليلة جداً ؛ لا تكاد تتجاوز سيرة ابن هشام ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبري .

([1]) د . طه حسين " في الشعر الجاهلي " دار المعارف للطباعة والنشر سوسة – تونس ص ٢٤

([2]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق١١ .

وليس في هذا الكتاب فصل أو نبأ أو حديث إلا وهو يدور حول خبر من الأخبار ورد في كتاب من هذه الكتب.

فإذا اتصل الخبر بشخص النبي إني أردُّه إلى مصدره ليستطيع من شاء أن يرجع إليه ، لا أحتمل في ذلك تبعه خاصة ، لأني لا أذهب فيه مذهباً خاصاً ، إلا أن يكون تبسيطاً في الشرح والتفسير واستنباط العبرة والوصول بها إلى قلوب الناس. " [1]

ويحاول طه حسين أن يتنصَّل من مسئولية ما يورده من سيرة النبي ﷺ فيقول " لا أحتمل في ذلك تبعه خاصة " وبهذا يحترز الكاتب من أي هجوم قد يثور ضده ؟ أو أية قضية قد ترفع عليه إذا أورد في كتابه ما يراه الباحثون أنه غير صحيح ويسيء للإسلام ورسوله ﷺ ؟!

وطه حسين يعلم جيداً هذا الكلام ففي كتاب أحمد أمين " فجر الإسلام " الذي كتب طه حسين نفسه مقدمة طبعته الأولى الصادرة في ديسمبر عام ١٩٢٨ أي قبل تأليفة كتاب السيرة بخمسة أعوام كاملة والذي يذكر فيه أنه أحد ثلاثة شركاء في تأليفه فيقول : " وثلاثتنا متضامنون في الكتاب على اختلاف أقسامه ، قد استقلَّ " أحمد أمين " بدرس الحياة العقلية ، ولكنه قرأه معنا وأقررناه كما أقرَّه ، فنحن شريكاه فيه على هذا النحو ، واستقلَّ " عبد الحميد العبادي " بدرس الحياة السياسية ، ولكنه قرأه علينا وأقررناه كما أقرَّه ، نحن شريكاه فيه على هذا النحو . واستقللت بدرس الحياة الأدبية ولكننا قرأناه جميعاً وأقررناه ، فنحن جميعاً شركاء فيه على هذا النحو " [2]

وفي هذا الكتاب " فجر الإسلام " يقول أحمد أمين : " إن المسلمين بدءوا من أول أمرهم يجمعون الحديث ، وفي الحديث مناح شتى من القول ، ففيه ما كان يفعله النبي ﷺ وأصحابه من عبادات وتشريع في المعاملات والجنايات ، وفيه أقوال للوعظ

([1]) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق ١١ .

([2]) أحمد امين " فجر الإسلام " دار الكتاب العربي بيروت – لبنان الطبعة العاشرة الصفحة ل

والإرشاد ، فيه قسم تاريخي لايستهان به ، فأحاديث تتعالق بحياة النبي ﷺ في مكة وهجرته ، وحياته في المدينة وغزواته ، وأعمال لأبي بكر ، وفتوحات عمر ونحو ذلك وكلها حوادث تاريخية نثرت في الحديث وعني بها بعض الصحابة ، وكانت هذه الأحاديث التاريخية أساساً لما أُلِّف بعد ذلك من كتب السيَر والمغازي ، فقد أفردت وأُضيف إليها ما لم يُتَحرَّ فيه تحرِّي ثقات المحدثين... ويتصل بهذا النوع ما يعرف في ذلك العهد بالقَصَص ، وقد استحدث في صدر الإسلام ... وقد نما القَصَص بسرعة لأنه يتفق وميول العامة . وأكثرَ القُصَّاص من الكذب حتى أن علي بن أبي طالب طردهم من المساجد واستثنى الحسن البصري لتحريه الصدق في قوله .ونرى أن هذا القصص هو الذي أدخل على المسلمين كثيراً من أساطير الأمم الأخرى كاليهودية والنصرانية ، كما كان باباً دخل منه على الحديث كذب كثير ، وأفسد التاريخ بما تسرَّب منه من حكاية وقائع مزيَّفة أتعبت الناقد وأضاعت معالم الحق " [1]

هذا ما كتبه أحمد أمين وأقرَّه عليه صديقاه طه حسين وعبد الحميد العبادي ، فطه حسين عندما يروي الأساطير والأكاذيب بل ينتحلها وهو يعلم يقيناً بأنها أساطير وأكاذيب ثم يقول " لا أحتمل في ذلك تبعه خاصة "إنما يحتمل في ذلك تبعة خاصة ، ولا يعذر فيه بالجهل ، ولا يعفيه احترازه هذا من مسئولية الكذب على سيرة رسول الله متعمداً .أليس هو الذي قال في كتاب الشعر الجاهلي " : " أريد ألا نقبل شيئاً مما قاله القدماء في الأدب وتاريخه إلا بعد بحث وتثبيت إن لم ينتهيا إلى اليقين فقد ينتهيان إلى الرجحان .. وينتهي في كثير من الأحيان إلى الإنكار والجحود . " [2] فما له يقبل أشياء مما قاله القصَّاص في الدين دون بحث وتثبيت ؟!

أو ليس هو الذي قال إن هناك مذهبين في الدراسات العلمية " المذهب الأول : يَدَع كل شيء حيث تركه القدماء لا يناله بتغيير ولا تبديل ولا يمسه في جملته وتفصيله إلا مسّاً رفيقاً .

([1]) أحمد امين " فجر الإسلام " دار الكتاب العربي بيروت – لبنان الطبعة العاشرة ص ١٥٧ – ١٦٠ بتصرف .

([2]) د . طه حسين " في الشعر الجاهلي " دار المعارف للطباعة والنشر سوسة – تونس ص ١٤

أما المذهب الثاني فيقلب العلم القديم رأساً على عقب . وأخشى إن لم يمح أكثره أن يمحو منه شيئاً . " [١]

فما له يعمد إلى محو الحقِّ في كتاب الشعر الجاهلي ، وإثبات الباطل في كتاب على هامش السيرة !!

أو ليس هو الذي قال عن أصحاب المذهب الثاني : " هم بين اثنين : إما أن يجحدوا أنفسهم ويجحدوا العلم وحقوقه فيريحوا ويستريحوا ، وإما أن يعرفوا لأنفسهم حقها ويؤدوا للعلم واجبه ، فيتعرَّضوا لما ينبغي أن يتعرَّض له العلماء من الأذى ويحتملوا ما ينبغي أن يتحمله العلماء من سخط الساخطين . " [٢]

فما له يختار المذهب الأول في على هامش السيرة ليعرِّض نفسه للأذى وسَخَط الساخطين فقد اعتبر كثير من الكتَّاب والمثقفين أن ما فعله الكاتب ليس رِدَّة عن الباطل ورجوع للحق إنما هو استمرار في نفس النهج وهو الطعن في الدين والتشكيك في مصادر الإسلام مرة بنفي الثابت من حقائقه ، ومرة أخرى بإلصاق الباطل به .

يقول د.محمد حسين هيكل صديق طه حسين : " لقد تحوَّل طه الرجل الذي لا يخضع لغير محكمة النقد والعقل إلى رجلٍ، كلف بالأساطير يعمل على إحيائها، وهذا يثير كثيراً من التساؤل، إذ أن طه وقد فشل في تثبيت أغراضه عن طريق العقل والبحث العلم لجأ إلى الأساطير ينمقها ويقدمها للشعب إظهاراً لما فيها من أوهام في الظاهر تفتن الناس " [٣]

ويقول أنور الجندي في كتابه عن طه حسين " أغلب الآراء والأفكار التي طرحها طه حسين في أفق الفكر الإسلامي . وهي لا تشكل نظرية معينة أو منهجاً كاملاً ،

([1]) د . طه حسين " في الشعر الجاهلي " دار المعارف للطباعة والنشر سوسة – تونس ص ١٤

([2]) نفسه ص ١٨

(3) نقلاً عن أنور الجندي " طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام " دار الاعتصام ص٢٠٢ .

وإنما هي نظرات مفرقة قوامها التناقض والتحوُّل والانتقال من الرأي إلى ضده حسبما يرى الظرف مواتياً لبث شبهته أو التقية في عرضها .

قوام فكره الشك الفلسفي ، وقوام أسلوبه التكرار ، وقوام منهجه التضاد وهو لا يثبت على صورة واحدة ولا منهج واحد ، وإنما هو يعتمد في الأساس على غاية واحدة أساسية وإن تكن الصورة والوسائل والأساليب إليها متغيرة دائماً في مكر ومرونة – وفي عقله ونفسه يكمن الباعث والهدف ، وهو لا يكشف عنها بسهولة ، ولكنه يخفيها وراء كلمات براقة كالحرية أو العلم أو الحضارة ويجعل ضربات معوله إلى مؤسسات ظاهرة : الحزب ، الأزهر ، الوزارة ، وزارة المعارف ، الجامعة الخ

... وهناك أساسيات لا تختلف هي مواجهة الإسلام والقرآن والنيل من التراث الإسلامي على نحو أو آخر وقد شغلته دائماً مسألة القرآن والإسلام والعقائد . " [1]

وقد يرى أنصار ومحبو طه حسين أن هذا رأي الإسلاميين الذين يرون في تجديد طه حسين : مناهج البحث ، وآفاق الثقافة العامة ، والتراث القومي والديني – خطراً على مكانتهم الدينية والأدبية ، وكشفاً لحقيقة تخلفهم وجهلهم ؛ لذا سنعرض لبعض كتب السيرة التي كتبها كتاب يمثِّلون طليعة المثقفين المجددين المعاصرين لطه حسين والتي صدرت في نفس العَقْدين اللذين أصدر فيهما طه حسين كتبه لنرى المناخ الديني والثقافة السائد حينئذ .

السيرة النبوية بين : طه حسين ، وكُتَّاب عصره

ولتحرير محل الخلاف بين أنصار طه حسين وخصومه نذكر لمحة عن المُنَاخ الديني والثقافي السائدَيْن في العَقْد الثالث والرابع من القرن العشرين إبان تأليف طه حسين كتبه في الشعر الجاهلي والأدب الجاهلي وعلى هامش السيرة .

---

(1) أنور الجندي " طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام " دار الاعتصام ص١٤١

يقول الشيخ محمد عبده في أول كتاب " الإسلام والنصرانية " : " فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري ، فلا يدهشك بخارق العادة . ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة . ولا يُخرس لسانك بقارعة سماوية ، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية . "

ثم يعلِّق د. محمد حسين هيكل على كلام محمد عبده قائلاً : " وأكبر ظنِّي أن الذين كتبوا السيرة كانوا يؤثرون هذا الرأي . لولا أحوال العصر أيام المتقدمين . ولولا أن ظنَّ المتأخرون في ذكر ما لم يرد به القرآن من خوارق ومعجزات ما يزيد الناس إيماناً على إيمانهم ؛ لذلك حسبوا أن ذكر هذه المعجزات ينفع ولا يضر ، ولو أنهم عاشوا إلى زماننا هذا ، ورأوا كيف أتخذ خصوم الإسلام ما ذكروه منها حجة على الإسلام وعلى أهله ، لالتزموا ما جاء به القرآن الكريم . ولقالوا بما قال به أبو حامد الغزالي ومحمد عبده والمراغي وسائر المدققين من الأئمة ، ولو أنهم عاشوا في زماننا هذا ، ورأوا كيف تزيغ هذه الروايات قلوباً وعقائد بدلاً من أن تزيدها إيماناً وتثبيتاً لكفاهم ذكر ما في كتاب الله من آيات بينات وحجج دامغة .

أما ومضرَّة الروايات التي لا يقرها العقل والعلم قد أصبحت واضحة ملموسة فمن الحق على كل من يعرض لهذه الأمور أن يراعي جانب الدقة العلمية في تمحيصها خدمة للإسلام ولتاريخ النبي العربي ، وتمهيداً لما يجلوه البث في هذا التاريخ العظيم من حقائق تنير أمام الإنسانية سبيلها إلى حضارتها الصحيحة .

ولو أننا عرضنا كثيراً من الأمور التي ترويها كتب السيرة وكتب الحديث على ما في القرآن الكريم لما وسعنا إلا أن نأخذ برأي الأئمة المدققين " [1]

كان هدف العلماء والمفكرين المسلمين في تلك المرحلة محاولة فهم الإسلام فهماً جديداً يتماشى مع روح العصر الذي يتميز بالمناهج العلمية الحديثة ، والعلوم

(1) د. محمد حسين هيكل " حياة محمد " دار المعارف ط ١٤ ص ٧٠

التجريبية المتقدمة ، والتكنولوجيا الحديثة المتطورة ، والمعارف الإنسانية المتنامية ، والفنون المتنوعة الإبداعية .

كان هدف العلماء والمفكرين المسلمين إثبات أن الإسلام مع كل علم نافع ومعرفة مفيدة ، وأن المسلمين عليهم أن يستفيدوا بما جاء به الغرب من مناهج علمية وعلوم حديثة وتكنولوجيا متطورة ، وأن يبينوا حقائق الدين الصحيحة وينفوا عنه ما لصق به من أباطيل وخرافات ويقدموا الإسلام في ثوب عصري قشيب يبهر الغرب المفتون بعلمه المادي المرتكس في ضلاله الديني والخلقي ويعلم المسلمين المنبهرين بالغرب أن عندهم ما يفاخرون به فإذا كان الغرب قد تقدم علميا فإنه قد انتكس دينياً وأخلاقيا وسلوكياً ، وأن فهم الإسلام فهماًعصريّاً سيجعل المسلمين يفوزون بثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة يتقدمون علميّاً وتكنولوجيا في الدنيا ويفوزون برضا الله والجنة في الآخرة ﴿فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾[آل عمران:١٤٨]

لقد اجتهد علماء المسلمين ومفكريهم في هذا العصر في كشف أسباب تخلف المسلمين وسبل تقدمهم ورفعتهم .

يقول رشيد رضا في كتابه " الوحي المحمدي " الذي صدر في يوليو ١٩٣٣ أي قبل كتاب طه حسين بنحو خمسة أشهر : " قد عُني الإفرنج بوضع كتاب باللغة الفرنسية جمع فيه آيات القرآن الكريم بحسب معانيها ، ووضع كلاًّ منها في باب أو أبواب خاصة بقدر فهمه ، ولكنه أخطأ في كثير من هذه المعاني وقصَّر في بعض مما علمه ، وما جهله منها عظيم ، ذلك بأن أخذ القواعد والأصول العامة من هذه الآيات يتوقف على العلم بسيرة النبي وسنته في بيان القرآن وتنفيذه لشرعه ، وآثار خلفائه وعلماء أصحابه من بعده .. إن الإسلام ليس له دولة تقيم القرآن وسنة الرسول بالحكم وتتولى نشره بالعلم ، ولا جماعة دينية تتولى بحمايتها الدعوة إليه بالحجة ، وليس لأهله مجمع ديني علمي يرجع إليه في بيان معاني القرآن وهدايته في سياسة البشر ومصالحهم العامة التي تتجدد لهم بتجدد الحوادث ومخترعات العلوم والفنون ،

وفيما يتعارض بين العلوم ونصوص الدين ، فيرجع إليها علماء الإفرنج في استبانة ما خفي عليهم من نصوصهما.

وأعجب من هذا وأغرب أن المسلمين أنفسهم قد تركوا من بعد خير القرون الأولى أخذ دينهم من القرآن الكريم ومن بيان الرسول له كما أمرهم الله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤] وما زالوا يهجرون الاهتداء بهما حتى استغنوا عنهما استغناء تاماً بأخذ عقائدهم عن كتب المتكلمين وأخذ أحكام عباداتهم ومعاملاتهم عن كتب علماء المذاهب غير المجتهدين ، وهذه الكتب لا تقوم بها حجة الله تعالى على البشر ، ولا سيما أهل هذا العصر الذي ارتقت فيه العلوم العقلية والتشريعية ، حتى صار المسلمون منا يأخذون عنهم العلم كما كان أجداهم يأخذون عنا ، بل فيها من آراء المتكلمين والفقهاء ، وروايات الكذَّابين والضعفاء ما قد يُعَدُّ حجة على الإسلام وأهله .

كما أن سوء حال المسلمين في فشو الجهل في شعوبهم ، والفساد والانحلال في حكوماتهم ، قد اتخذ حجة على دينهم ، فصاروا فتنة للذين كفروا به ...

هذه أظهر الأسباب لخفاء حقيقة الإسلام الكاملة على علماء الحضارة العصرية من الأجانب ومن المسلمين أيضاً وتمنيهم لو يبعث نبي جديد بهداية إلهية عامة كافية لإصلاحهم ، ولما كان الإسلام هو دين الإنسانية العام الدائم الجامع لكل ما يحتاج إليه جميع الشعوب من الهداية الدينية والدنيوية ، وجب على العقلاء الأحرار والعلماء المستقلين يتألمون من المفاسد المادية التي تفاقم شرها في هذا العهد ، أن يعنوا بهتك تلك الحُجُب التي تحجبهم عن النظر فيه ، وإزالة الموانع التي تعوقهم عن فهم حقيقته، وأن يدعوا جميع الشعوب إلى أخوَّته ، وتكميل الحضارة الإنسانية بهدايته .

أما بعد فإنني أقدم لهم هذا الكتاب الذي صنفته في إثبات " الوحي المحمدي " وكون القرآن الكريم كلام الله عزل وجل ، وكونه مشتملاً على جميع ما يحتاج إليه البشر من الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي والمالي والحربي . وقد أطلت في

بيان هذه المقاصد الأساسية بعض الإطالة لأنها مثار جميع الفتن والمفاسد التي يشكو منها عقلاء هذا العصر " (١)

لقد كان علماء المسلمين ومفكروهم في هذا العصر يرون خير وسيلة لمواجهة الغزو العسكري والعلمي والثقافي الذي يشنه عليه الغرب يكمن في إعمال العقل في فهم الإسلام في ضوء العلوم الحديثة ونفي التعارض بين العلم والدين ، وكشف الحُجُب التي تحول دون ذلك والتي على رأسها تلك الروايات الخرافية والقصص الأسطورية والإسرائيليات التخريبية في كتب الدين والتي لا تحول دون فهم الإسلام فهما عصرياً فقط بل تؤكد صحة مزاعم الغربين ومن يسيرون في ركابهم أن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين ، وأن المسلمين إذا أرادوا أن يتقدموا كما تقدم الغرب أولاً أن ينبذوا دينهم وقوميتهم كما نبذهما الغرب " وأن يعدلوا عن اتخاذ الوحدة الدينية واللغوية أساساً للملك وقواماً للدولة " (٢) وأن يكون العقل المصري " غربيُّ التصوُّر والإدراك والفهم والحكم على الأشياء " (٣) و " أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً؛ ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومُرِّها ، وما يحبُّ منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب ." (٤)

يقول محمد عبده ورشيد رضا تفنيداً لآراء المستشرقين المغرضين هذه ومبينين المنهج المستقيم الذي يجب أن يتبعه المسلمون من أجل نهضة أممهم: " بثَّ الإفرنج دعاة دينهم وفي بنائهم المدارس في البلاد الإسلامية وغيرها وفي اتخاذهم الوسائل إلى بث لغاتهم وآرائهم وعاداتهم في مدارسنا حتى صارت نفوس نابتتنا في البلاد المقلدة لمدنيتهم في تصرف الأساتذة من الإفرنج والمتفرنجين ينقشون فيها من الأفكار ويطبعون فيها من الملكات ما يغير نظام الاجتماع في بلادنا ويحذب أموالها وميولها

---

(1) محمد رشيد رضا " الوحي المحمدي " ط ص ٦٦

(١) د. طه حسين " مستقبل الثقافة في مصر " دار المعارف ص ٢٢

(١) نفسه ص ١٨ .

(١) نفسه ص ٣٩ .

إليهم حتى يكون أهلها عالة عليهم أو خدماً لهم في كل شيء إلى أن تصير ملكاً خالصاً لهم في الحقيقة دون الاسم أو في الأمرين معاً ... الإفرنج أرقى منا في العلم والمدنية فنحن في حاجة إلى أخذ الفنون والصناعات منهم بالاجتهاد والاستقلال مع المحافظة على مقوماتنا الملية والقومية التي تحول دون فنائنا فيهم " (١)

كانت هذه المدرسة العقلية في دراسة الدين بصفة عامة والسيرة بصفة خاصة تسود تلك المرحلة ، وهذه المدرسة كانت تعتمد المناهج الحديثة والمعارف الجديدة في الحكم على القضايا الدينية أو روايات السيرة المحمدية وكانت تقف موقف المدافع عن الإسلام ورسوله ضد من يسيئون إليه من أعدائه أو أبنائه .

يقول العقاد في كتابه " عبقرية محمد " ففي يوم من أيام المولد النبوي(٢)والجماعة تزورني ليذهبوا إلى الساحة مجتمعين في المساء كان الكاتب الإنجليزي العظيم " توماس كارليل " هو محور الحديث كله؛ لأنه كما يعلم الكثيرون بين قراء العربية صاحب كتاب " الأبطال " الذي عقد فيه فصلاً عن النبي محمد ﷺوجعله نموذج البطولة النبوية بين أبطال العالم الذين اختارهم للوصف والتدليل (٣).

وإنا لنتذاكر آراءه ومواضع ثنائه على النبي ﷺ إذ خَرَجت من أحد الحاضرين الغرباء عن جماعة الأصدقاء كلمة منافية للأدب وحسن الخلق غضبنا لها واستنكرناها لما فيها من سوء الأدب وسوء الذوق وسوء القصد وكان الفتى الذي قال هذه الكلمة مدعياً للعلم يتظاهر بالمعرفة ، ويحسب أن التطاول على الأنبياء من لوازم الاطلاع على الفلسفة والعلوم الحديثة .. فكان مما قاله شيء عن النبي ﷺ والزواج ، وشيء عن البطولة فحواه : أن بطولة محمد ﷺ إنما هي بطولة سيف ودماء !

---

(١) محمد عبده ورشيد رضا " الإسلام والنصرانية " ط ١ مطبعة المنار ص ١٤- ١٦ بتصرف

(2) كان ذلك أوائل العقد الثالث من القرن العشرين .

(3) هذا الكاتب غير مايكل هارت صاحب كتاب " العظماء مائة أعظمهم محمد ﷺ" الذي ترجمه إلى العربية أنيس منصور أحد تلامذة العقاد .

قلت : " ويلك ما يستحق أحد الضرب بالسيف كما تستحقه أنت بهذه الكلمة المنافية للأدب وحسن الخلق" .

وقال صديقنا المازني : " بل السيف أكرم من هذا ، وإنما يستحق صاحبنا شيئاً آخر، وأشار إلى قدمه ! " .

وارتفعت لهجة النقاش وقتاً يسيراً ، ثم هدأت بخروج الفتى صاحب الكلمة من المجلس واعتذاره قبل خروجه ، بتفسير كلامه على معنى مقبول ، أو خُيِّل إليه أنه مقبول .

وتساءلنا : ما بالنا نقنع بتمجيد " كارليل " للنبي ﷺ وهو كاتب غربي لا يفهمه كما نفهمه ولا يعرف الإسلام كما نعرفه ، ثم سألني بعض الإخوان : " ما بالك أنت يا فلان لا تضع لقُرَّاء العربية كتاباً عن محمد ﷺ على المنهج الحديث ؟ " .

قلت : " أفعل ، وأرجو أن يتم ذلك في وقت قريب " .

ولكنه لم يتم في وقت قريب بل تمَّ بعد ثلاثين سنة ! " [1]

والعقاد والمازني وبقية الأصدقاء كانوا يمثلون جيل الطليعة الثائر على القديم البائد. ومدرسة الديوان في الأدب والنقد التي كان العقاد والمازني مع عبد الرحمن شكري روادها قد ثارت ثورة عارمة على المدرسة الكلاسيكية في الأدب والنقد التي كانت سائدة حينئذ ، ومع ذلك لم تجرِّؤهم ثقافتهم الأجنبية ورغبتهم في تطوير المجتمع وتحديثه على الخروج على ثوابت الإسلام والإساءة إلى نبيه الكريم ، بل كانوا من المكافحين ضد الخروج على مقدسات الدين .

حياة محمد لحسين هيكل

كان هذا هو المُنَاخ الثقافي والديني في العَقْد الثالث من القرن العشرين اطلاع على الثقافة الغربية ومتابعة لما يكتبه المؤلفون الغربيون مع تمسك بقيم الإسلام

(1) عباس محمود العقاد " عبقرية محمد " المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت ص ٦

وتبجيل رسوله ، ومنافحة عن ثوابت الدين ومقدساته ورموزه ضد أعداء الدين من المسلمين وغير المسلمين .

يقول د. هيكل في كتابه " حياة محمد " الذي نشره في منتصف العَقَد الثالث من القرن العشرين بعد صدور كتاب طه حسين في السيرة بنحو عام [1]: " " ومن الحق علينا للغرب أن نقول : إن ما يقوم به علماؤه اليوم من بحوث نفسية في تاريخ الدراسات الإسلامية والدراسات الشرقية ، قد مهَّد لأبناء الإسلام وأبناء الشرق أن يتزيدوا من هذه البحوث في تلك الدراسات وأن يكونوا أكبر رجاء في الاهتداء إلى الحق ؛ فهم أقرب بطبعهم إلى حسن إدراك الروح الإسلامي والروح الشرقي . وما دام التوجيه الجديد قد بدأ في الغرب ، فواجب عليهم أن يتابعوه وأن يصحِّحوا أغلاطه وأن يبثُّوا فيه الروح الصحيح الذي يعيده إلى الحياة ويصله بالحاضر ، لا على أنه مجرَّد دراسة وبحث ، بل على أنه ميراث روحي وعقلي يجب أن يتمثله الوارثون ، وأن يضيفوا إليه ، وأن يزيدوا سَنَا ضيائه بما يزيد الحقيقة الكامنة فيه ضياء ونوراً .

وقد توفَّر منهم كثيرون على هذه البحوث يقومون اليوم بها على الطريقة العلمية الصحيحة ؛ والمستشرقون أنفسهم يقدرون لهم ذلك ويُشيدون بفضلهم فيه . " [2]

ثم يبين هيكل الدور المشبوه الذي يقوم به بعض أعداء الدين في الخارج والداخل ، والذي يتمثل في الطعن في الإسلام وفي النبي ﷺ بما يدسون على سيرته العطرة ﷺ من خرافات لا تصح سنداً ولا تقبل عقلاً بل تتعارض مع صحيح الدين .

يقول د. هيكل : " وبينا يقوم هذا التعاون العلمي الجديد بأن يؤتي خير الثمرات ، إذا بنشاط رجال الكنيسة المسيحية لا يفتُر في الطعن على الإسلام وعلى محمد طعناً لا يقل عما تلوت منه فيما سبقت الإشارة إليه . والاستعمار الغربي يؤيد بقوته

---

(1) صدر كتاب " على هامش السيرة " في ديسمبر ١٩٣٣، وصدر كتاب " حياة محمد " في فبراير ١٩٣٥.
(2) د. محمد حسين هيكل " حياة محمد " دار المعارف ط ١٤ ص ٣٦

أصحاب هذه المطاعن باسم حرية الرأي ، مع أن أصحاب هذه المطاعن قد أُجْلُوا عن بلادهم وحيل بينهم وبين ما يسمونه تثبيت الإيمان في نفوس إخوانهم في الدين .

وهذا الاستعمار يؤيد كذلك دعاة الجمود من المسلمين . وكذلك تضافر عمل الاستعمار على تأييد ما دُسَّ على الإسلام مما يبرأ الإسلام منه ، وعلى سيرة الرسول من خرافات لا يُسيغها العقل ولا يقبلها الذوق ، وعلى تأييد الطاعنين على الإسلام وعلى حمد بما دُسَّ على الإسلام وعلى سيرة الرسول . " (١)

ثم يبين د.هيكل هدفه من تأليف كتاب عن حياة النبي ﷺ فيقول : " أتاحت لي ظروف حياتي أن أرى ذلك كله في مختلف بلاد الشرق الإسلامي ، بل في البلاد الإسلامية كلها ، وأن أتبين ما يُقصد إليه من القضاء على الروح المعنوية في هذه البلاد بالقضاء على حرية الرأي وحرية البحث ابتغاء الحقيقة . وقد شعرت أن عليَّ واجباً أقوم به في هذا الموضوع لإفساد الغاية التي ترمي هذه الخطة إليها ، التي تضر الإنسانية كلها ولا يقف ضررها عند الإسلام والشرق . وأيُّ أذى يصيب الإنسانية أكبر من العُقم والجمود يصيبان نصفها الأكبر والأعرق في الحضارة على حِقَب التاريخ !

ولذلك فكَّرت في هذا وأطلت التفكير ، وهداني تفكيري آخر الأمر إلى دراسة حياة محمد صاحب الرسالة الإسلامية وهدف مطاعن المسيحية من ناحية ، وجمود من ناحية المسلمين من الناحية الأخرى ، على أن تكون دراسة علمية على الطريقة الغربية الحديثة ، خالصة لوجه الله ، ولوجه الحق وحده . " (٢)

إذن عامة المثقفين في العَقْدين الثالث والرابع من القرن العشرين كانوا يقاومون الغزو الثقافي المتمثل في كتب المستشرقين وأذنبهم التي تهدف إلى إفساد الدين وقيم المجتمع الأصيلة المستمدة منه ، كما يقامون أهل التخلف والرجعية الذين ينظرون إلى الخلف ولا يفقهون الواقع ولا يدرسون علومه ومعارفه ولا يتطلعون إلى المستقبل .

---

(1) د. محمد حسين هيكل " حياة محمد " دار المعارف ط ١٤ ص ٣٦

(2) نفسه ص ٣٧ .

والعجيب أن طه حسين بكتابه على هامش السيرة قد ساير المستشرقين في الطعن على الدين بترويج ما لا يصح في كتب السيرة دون تمحيص ودراسة مخالفاً ما كان سائداً من كتابات أقرانه. بل إنه في عام ١٩٣٨ أي بعد صدور كتاب على هامش السيرة بخمسة أعوام فقط أصدر كتابه " مستقبل الثقافة في مصر "الذي يصرِّح فيه تصريحاً لا موارابة فيه بتبنيه كل أفكار الغرب بل ويدعو الناس إلى التمسك به لكي ينهضوا فهي السبيل الوحيد للتقدم : " لكن السبيل إلى ذلك ليست في الكلام يرسل إرسالاً ، ولا في المظاهر الكاذبة والأوضاع الملفَّقة ، وإنما هي واضحة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهي واحدة فذة ليس لها تعدُّد وهي : أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً؛ ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومُرِّها ، وما يحبُّ منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب .

ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع . والغريب أنا نسير هذه السيرة ونذهب هذا المذهب في حياتنا العمليَّة اليوميَّة ، ولكننا ننكر ذلك في ألفاظنا وعقائدنا ودخائل نفوسنا ، فنتورَّط في نفاق بغيض لا أستطيع أن أسيغه ولا أن أسكن إليه . إن كنَّا صادقين فيما نعلن ونسر من بغض الحياة الأوربيَّة فما يمنعنا أن نعدل عنها عدولاً ونصد عنها صدوداً ونطرحها إطراحاً ؟ وإن كنا صادقين فيما نقدم عليه كل يوم وفي كل ثني من أثناء حياتنا العمليَّة من تقليد الأوربيين ومجاراتهم فما يمنعنا أن نلائم بين أقوالنا وأعمالنا وبين آرائنا وسيرتنا ، فإن هذا النفاق لا يليق بالذين يكبرون أنفسهم ويريدون أن يرتقوا بها عن النقائص والدنيَّات ؟ " (١)

هذا غاية ما يرمي إليه طه حسين أن نحْذوا حَذْو أوربا حذو النَّعْلِ بالنعل وإلا كنَّا منافقين نعلن كرهنا للأوربيين ونأخذ عنهم كلَّ علومهم وفنونهم !

ونحن لا نكون منافقين حين نتمسَّك بديننا وثقافتنا وهو أفضل ما نملكه ونعتز به ونأخذ من الغرب ما ينقصنا من علم وتكنولوجيا وهو أفضل ما عندهم إنما نكون

(١) د. طه حسين " مستقبل الثقافة في مصر " مرجع سابق ص ٣٩

تابعين أغبياء عندما نقلِّد الغرب تقليداً أعمى في خيره وشرِّه ، حلوه ومُرِّه ، وما يحبُّ منه وما يكره ، وما يحمد منه وما يعاب .

يقول محمد عبده ورشيد رضا : " إنما بقاء الأمم والملل بمقوِّماتها التي تمتاز بها عن غيرها فإذا قصَّر أفرادها في التمسك والاعتصام بالمحافظة على تلك المقومات وما يتبعها من المشخصات زالت الأمة أو الملَّة بانقراض أهلها أو اندغامهم في أمة أخرى .

مضت سنة الله في البشر بمحافظة كل قوم على مقوماتهم ومشخصاتهم وحرصهم عليها بقدر ارتقائها في حياتهم الاجتماعية فالأمة الحية المستقلة لا تتبع أمة أخرى ولا تقلدها في دينها ولا عاداتها ولا تقاليدها ، ومثلها في ذلك كمثل الأفراد فالعالم المستقل لا يتقلد رأي غيره وإن كان مثله أو أعلم منه وإنما يعمل بما يظهر له أنه الصواب لا بما يظهر لغيره ...

كذلك مضت سنة الله في البشر بتقليد الضعيف للقوي وتشبهه به فيما يسهل التقليد والتشبه فيه سواء ذلك في الأفراد والأمم ، إنما السنة فيه أن يكون بالتدريج والانتقال من محقِّرات الأمور كالأزياء والعادات إلى ما فوقها حتى ينتهي بأعظم المقومات التي بها التمايز كاللغات والمذاهب والأديان ، ولولا التعارض بين داعيتي التقليد والاستقلال، لكان أمر البشر على غير ما نعهد الآن ، فإما أن يكون كل منهم مقلداً لمن قبله فيكونون كالأنعام ، وإما أن يكون كل منهم مستقلاً في كل شيء فلا يكادون يشتركون في شيء يجمع بينهم ، ويرى بعض الحكماء أنه يجب التآلف بين جميع البشر واتحادهم وما هذا بالذي يتم وغاية ما يرجى من الكمال أن يتعارفوا ولا يتناكروا في اختلافهم كما أرشد القرآن .

كان أمر الناس في الزمان الماضي متروكاً إلى طبيعة الاجتماع تعمل عملها بسنن الله تعالى فيهم وهم لا يشعرون بسيرها فيساعدوها عليه أو يقاوموها فيه بالطرق

العلمية ، إلا ما كان من الحروب التي توقد نيرانها مطامع الأقوياء ، وقد اتسع نطاق علم الاجتماع في هذا العصر فصارت الأمم العالمة المتحدة تفضل قوة العلم على قوة السلاح في محاربة الأمم الجاهلة المتخاذلة فتسطو على مقوماتها ومشخصاتها من الدين واللغة والتقاليد والعادات فتزلزلها وتزيل ثقتها بالتدريج وتزين لها أن تتبدل بها ما تخيل إليها أنه خير منه فتزيدها بذلك ضعفاً ومرضاً حتى حرضاً أو تكون من الهالكين : إما بالاستعباد وذهاب الاستقلال ، وإما بالاندغام والاضمحلال . "[1]

عبقرية محمد للعقاد

وعن هدف العقاد من تأليف كتاب عن سيدنا محمد ﷺ يقول : " إننا بدأنا في كتابته مساء ذلك اليوم قبل ثلاثين سنة فكتبناه ونحن نستحضر في الذهن تبرئة المقام المحمدي من تلك الأقاويل التي يغلط بها أدعياء العلم والجهلاء عن عدم معرفة أو سوء نية ونظرنا اتفاقاً ، فإذا بأطول الفصول فيه الفصلان اللذان شرحنا فيهما موقف محمد من الحرب ومن الحياة الزوجية ؛ لأنهما كانا مثار النقاش تلك الليلة على مقربة من ساحة المولد ، وكان مثار النقاش في كل ما ردده ضعفاء العقل الكارهين .

... إنما الكتاب تقدير " لعبقرية محمد " بالمقدار الذي يدين به كل إنسان ولا يدين به المسلم وكفى ، وبالحق الذي يبث له الحب في قلب كل إنسان ، وليس في قلب كل مسلم وكفى .

فمحمد هنا عظيم ؛لأنه قدوة المقتدين في المناقب يتمناها المخلصون لجميع الناس.

عظيم لأنه على خُلق عظيم .

ويكفينا من " عبقرية محمد ﷺ" أن نقيم الأدلة على أن محمداً ﷺعظيم في كل ميزان " عظيم في ميزان الدين ، وعظيم في ميزان العلم ، وعظيم في ميزان الشعور ، وعظيم عند من يختلفون في العقائد ولا يختلفون في الطبائع الآدمية .

---

(١) محمد عبده ورشيد رضا " الإسلام والنصرانية " ط ١ مطبعة المنار ص ١١- ١٤ بتصرف

إن عمل محمد ﷺ لكافٍ جد الكفاية بلوغه المكانة الأعلى من التعظيم والإعجاب والثناء ..

إنه نقل قومه من الإيمان بالأصنام إلى الإيمان بالله ... ونقل العالم كله من سكون إلى حركة ومن فوضى إلى نظام ، ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية ، ولم ينقله هذه النقلة قبلة ولا بعده أحد من أصحاب الدعوات .

إن عمله ﷺ هذا لكاف لشغله المكان الأعلى بين صفوة الأخيار الخالدين ، فما من أحد يبخل على صاحب هذا العمل بالتوقير ثم يجود بالتوقير على اسم إنسان ...

ويكفينا من كتابنا هذا أن يكون إشارة إلى تلك العظمة في آفاقها . " [1]

وليس معنى هذا أن كتب المدرسة العقلية التي يمثلها د. هيكل والعقاد وغيرهما قد خلت من روايات ضعيفة أو آراء محل خلاف[2] لكن روايات هذه المدرسة الضعيفة في الغالب مما أباح العلماء الاستشهاد به لأنها تدعو إلى فضائل الأعمال أو تدافع عن صاحب الخلق العظيم ، وليست روايات ضعيفة تدعو إلى تشويه الإسلام وإدانة سيرة سيد الأنام .

أما الآراء محل الخلاف أو حتى الفاسدة كاستبعاد كل ما يخالف المألوف وإن دخل في باب المعجزات الإلهية الثابتة ، لأنها تراها مدعاة لتشكيك المغرضين في الإسلام ورسوله ؛ فإن هذه الآراء تغفر إن صدرت من عالم اجتهد في طلب الحق فاخطأ ، ولا تقبل ممن اجتهد في طلب الباطل فأصاب .

السيرة النبوية لمحمد فريد وجدي

يقول محمد فريد وجدي في مقدمة كتابه " السيرة النبوية تحت ضوء العلم والفلسفة " الذي كتبه عام ١٩٣٩ أي في نفس العَقْد الذي كتب فيه طه حسين كتابه على

---

(1) عباس محمود العقاد " عبقرية محمد " المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت ص ٨- ١١بتصرف .

(2) للمؤلف كتاباً كاملاً عن العقاد بعنوان " عبقرية محمد للعقاد " مع ضبط وتخريج الأحاديث النبوية ، ومناقشة آراء العقاد الدينية ، وذكر مفتاح شخصية سيد البشرية . دار زهور المعرفة والبركة .

هامش السيرة : " إن كثيرين ممن تناولوا منَّا السيرة المحمدية بالكتابة جعلوا معتمدهم الأساليب الخطابية ، والأفانين (الفنون) البيانية ، ولم يكن يعنوا أقل عناية بحاجة العقول القوية المجبولة (مطبوعة) على التشكك والتثبت ، فأسرفوا في إهمال الناحية الإقناعية ، وتهافتوا على الناحية التسليمية ، فجرهم هذا الموقف إلى قبول كل ما وضعه الخرَّاصون (الكذَّابون) من المبالغات التي ضاهأُوا بها (يشابهون) ما ورد من أمثال الأمم المختلفة معاصين (يعصون) بذلك كل ما ورد في الكتاب (القرآن الكريم) من وجوب مجانبة الغلو في القول ، وضرورة التثبت في النقل ، والتمحيص في الرواية ، فجاءت السيرة المحمدية زاخرة (ممتلئة) بالأقاصيص الخرافية ، والروايات الموضوعة ، والأشعار المصنوعة ، فإن تكن هذه الكتب المؤلفة في السيرة قد راجت (انتشرت) لدى العامة ومن يجري مجراهم ، فقد أهملها الخاصة ، وكان يجب أن تكون أول ما تتجه إليه عقولهم ، وتهوي إليه أفئدتهم " [1]

وإني أحسب محمد فريد وجدي يعرِّض بطه حسين فقد اعتمد طه حسين كتابه على هامش السيرة الأساليب الخطابية ، والأفانين البيانية ، ولم يكن يعنى أقل عناية بحاجة القول القوية المجبولة على التشكك والتثبت ، وتهافت على الناحية التسليمية ، وقبل كل ما وضعه الخرَّاصون من البالغات التي قَّلدوا فيها الأمم المختلفة ، ولم يتثبَّت في النقل والتمحيص في الرواية فجاءت السيرة المحمدية في كتابه زاخرة بالأقاصيص الخرافية ، والروايات الموضوعة .

هذا هو المناخ الثقافي والديني الذي كان سائداً في وقت تأليف طه حسين كتابه على هامش السيرة ، وهذا هدف قرناء طه حسين الذين كتبوا في السيرة من أمثال د. محمد حسين هيكل ،والعقاد ، ومحمد فريد وجدي ، ومصطفى صادق الرافعي وغيرهم.

---

(1) محمد فريد وجدي " السيرة النبوية تحت ضوء العلم والفلسفة " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٤٠

رأي حسين هيكل في كتاب على هامش السيرة

ونترك أحد أصدقاء طه حسين يتحدث عن كتاب " على هامش السيرة " وهو د. محمد حسين هيكل ليبين ما كان سائداً في هذا العصر ومدى خروج طه حسين عليه: " أستميح طه العذر إن خالفته في اتخاذ النَّبيِّ ﷺ وعصره مادة الأدب الأسطورة. وأشار إلى ما يتصل بسيرته ﷺ ساعة مولده، وما روي عما حدث له من إسرائيليات رُوِّجت بعد النَّبيّ ﷺ ثم قال: " ولهذا وما إليه يجب في رأيي أن لا تتخذ حياة النَّبيِّ ﷺ مادة الأدب الأسطوري، وإنما يتخذ من التاريخ وأقاصيصه مادة لهذا الأدب، وما اندثر أو ما هو في حكم المندثر، وما لا يترك صدقه أو كذبه في حياة النفوس والعقائد أثراً ما. والنَّبيُّ ﷺ وسيرته وعصره يتصل بحياة ملايين المسلمين جميعاً، بل هي فلذة من هذه الحياة. ومن أعز فلذاتها عليها وأكبرها أثراً. وأعلم أن هذه الإسرائيليات قد أريد بها إقامة " ميثولوجية إسلامية " لإفساد العقول والقلوب من سواد الشعب، ولتشكيك المستنيرين ودفع الريبة إلى نفوسهم في شأن الإسلام ونبيه ﷺ .

وقد كانت هذه غاية الأساطير التي وضعت عن الأديان الأخرى. من أجل ذلك ارتفعت صيحة المصلحين الدينيين في جميع العصور لتطهير العقائد من هذه الأوهام. "

ويعلق أنو الجندي على كلام د. هيكل فيقول : " ولا ريب أن كلام الدكتور محمد حسين هيكل هذا هو اتهام صريح لطه حسين في اتجاهه وتحميله مسئولية من أخطر المسئوليات، وهي: إعادة إضافة الأساطير التي حرر المفكرون المسلمون سيرة النَّبيِّ ﷺ منها طول العصور. وإعادتها إليها لخلق جو معين يؤدي إلى إفساد العقول في سواد الشعب، وتشكيك المستنيرين، ودفع الريبة إلى نفوسهم في شأن الإسلام ونبيهﷺ.

وهذا الذي كشفه هيكل ما زال كثيرون يجهلونه، وما زال المتابعون لحياة طه حسين وتحوّلاته يرون أن هذا أخطر تحول له، وأن هذا التحول جاء بعد أن انضم إلى حزب الوفد وأمن الهجوم عليه وخدع الناس بأسلوبه وطارت الدعوات تقول : إن طه

حسين عاد إلى الإسلام، وإنه يكتب حياة الرَّسُولِ،ولم يكن هذا صحيحاً على الإطلاق،ولكنه كان تحولاً خطيراً وفق أسلوب جديد لضرب الإسلام في أعز فلذات حياته، وهي سيرة الرَّسُول الأمين ﷺ . " [1]

ما يؤخذ على طه حسين في كتاب على هامش السيرة

وما يؤخذ على طه حسين أنه قد ألحق السيرة النبوية وما تشتمل عليه من الغزوات والفتوح والفتن والملاحم بـ " أحاديث العرب الجاهلين وأخبارهم التي لم تحتفظ في صورة بعينها وإنما قصها الرواة في ألوان من القصص ، وكتبها المؤلفون من صنوف التأليف " [2] ثم قال الكاتب بعد ذلك : " وقُلْ مثل ذلك في السيرة نفسها ؛ فقد ألهمت الكتاب والشعراء في أكثر العصور الإسلامية وفي أكثر البلاد الإسلامية أيضاً ؛ فصوروها صوراً مختلفة تتفاوت حظوظها من القوة والضعف والجمال الفني . وقُلْ مثل هذا في الغزوات والفتوح ، وقُلْ مثل هذا في الفتن والمحن التي أصابت العرب في العصور المختلفة . ولم يقف إلهام هذا التراث الأدبي العظيم عند الكتَّاب والشعراء الذين ينمِّقون النثر ويقرضون الشعر ، في اللغة الفصحى ، بل جاوزهم إلى جماعة من القصاص الشعبيين الذين تحدثوا إلى الناس في صور مختلفة وأشكال متباينة " [3]

إن ما فعله طه حسين في كتاب على هامش السيرة خلط الحقيقي بالأسطوري والحق بالباطل والوحي المقدس بالإسرائيليات المدنسة في الوقت الذي كان أغلب الكتاب والمثقفين وأصحاب الفكر والرأي يدافعون عن صحيح الدين ضد هجمة المُغْرضين من المستشرقين وأذنابهم الذين يتهمون الدين بالخرافة والتخلف ومجافاة العلم والتحضُّر مما دعا لظهور المدرسة العقلية في الدراسات الإسلامية لبيان أن حقائق الإسلام لا تتعارض مع العلم الحديث بل تسبقه في الوصل للحقيقة ، في هذا الوقت الذي يحاول هؤلاء الناس يدافعون عن الإسلام وينفون عنه كل زيف راح طه

---

(1) أنور الجندي " طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام " دار الاعتصام ص٢٠١ ، ٢٠٢ .

(2) د . طه حسين " على هامش السيرة " مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ص ٩ .

(3) د . طه حسين " على هامش السيرة " مرجع سابق صفحة ٩ .

حسين يروِّج للروايات الضعيفة والمكذوبة التي تؤكد صدق مطاعن المغرضين من المستشرقين والمبشرين ومن تأثر بهم من المسلمين بل أكثر من ذلك راح ينتحل الأساطير وينسبها للنبيﷺ وصحبه الكرام .

وخطورة ما فعله طه حسين هو تأثُّر كثير من القُرَّاء والمثقفين غير المتخصصين في العلوم الدينية بكتبه فقد كان عَلَماً من أعلام العلم التنوير والحداثة في ظنهم ، وبناء على ذلك اتخذ هؤلاء المتعلمون والمثقفون كتب طه حسين مرجعاً دينياً فهو بالنسبة لهم العالم الكبير الذي يحمل أرفع الشهادات من أعرق الجامعات الأوربية والذي طبقت شهرته الآفاق فإذا أراد أحد هؤلاء الذين كانوا يتباهون بالقراءة لكتاب العصر الكبار وفي صدرهم طه حسين أن يقرأ في سيرة النبي فهل يقرأ لمحمد عبده ، ورشيد رضا ، ومحمد الغزالي ، وعبد الوهاب النجار ، ومحمد سعيد البوطي وغيرهم من أصحاب الاتجاه الديني أم يقرأ لكتاب العصر الحديث المسلحين بأحدث أسلحة العلم الغربي المتقدم الذي نسعى إلى السير على دربهم لعلنا نلحق بهم ونكون أمثالهم في التقدم والمدنية والقوة في شتى المجالات : العلمية ، والتقنية ، والفكرية ، والعسكرية ...

في هذه الحقبة ، أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، كان الانبهار بالغرب على أشده فقد كان الغرب المثل الأعلى لخرجي المدارس والجامعات والمثقفين، نعم هناك من يمثل الاتجاه المحافظ المعادي لكل ما يجيء به الغرب الرجيم ، والتيار الثالث الذي توسَّط بين المنبهرين بالغرب والمعادين له وعرف ماذا يأخذ وماذا يَدَع من الغرب ومن التراث الإسلامي [1]ولكن اتجاه الانبهار كان آخذاً في الصعود ، ومرشحاً لسيادة الحياة العلمية والثقافية .

([1]) المقصود بالتراث الإسلامي العطاءات العلمية والفكرية والثقافية للعلماء المسلمين ، وليس المقصود بها القرآن الكريم ، والسنة الشريفة كما يحاول العلمانيون دائماًأن يخلطوا بين ما هو إنتاج بشري وإبداع إنساني قابل للنقاش والمراجعة والتعديل والتغيير ، وبين ما هو مقدس الذي لا ينبغي المساس بقدسيته ولا الطعن فيه وهو صالح لكل زمان ومكان وحال ، لكن ما يفهمه العلماء من هذا المقدس هو القابل للمناقشة ، وفي هذا المقدس ما هو ثابت لا يتغير وهو ما يسمى المعلوم من الدين بالضرورة : وهو ما أجمعت الأمة على اختلاف العصور والدهور عليه مثل العقائد والعبادات والأخلاق الحسنة التي يدعو إليها الإسلام ، وهناك ما هو متغير يجتهد فيه أصحاب العلم فيما يتعلق بالمعاملات والنظم كالنظم السياسية ،والاقتصادية ،والإدارية .

تعليقات حديثة على كتاب على هامش السيرة

نشر موقع goodreads تعليقات القراء على كتاب على هامش السيرة ودونك نص ما كتبه القراء عن الكتاب كما كتبوه بأخطائه اللغوية والنحوية والإملائية لبيان مدى تأثير الكتاب ليس القراء القدماء منهم فحسب إنما المعاصرون أيضاً .

rated it 4 of 5 stars AhmedJul 06, 2015

مش هنتكلم عن المقدمة الخرافية للجزء دا ، مقدمة عظيمة بكل ما تحمل الكلمة من معنى ، رسالة خالدة من قامة خالدة ، صيحة أدبية من رجل كان يمتلك من البصيرة وهو أعمى ، ما يعجز عن امتلاكه آلاف المبصرين. مقدمة من ٧ صفحات تلخص آلاف الكتب والدراسات.

فيه امتزجت اللغة الرشيقة والوصف العظيم وتقديم عظيم للشخصيات ، هتجد لذّة عظيمة في القراءة وفائدة اعظم في المعرفة. إقرأوا لطه حسين يا جماعة ، إقرأوا له بشغف ، فهو يستحق.

see review · Like · 17 likesflag

review of another edition rated it 3 of 5 stars · حماسApr 11, 2015

لطه حسين أسلوب خاص يمتاز بالهدوء بدرجة أولى وبالتصوير بدرجة ثانية فكل موقف وكل صورة وكل حدث يقويه بالتصوير الجميل مخضعًا لذلك الحروف والكلمات بالتفصيل الدقيق ومشكلًا منها لوحة فنية مرئية للعين تعلمت معه أن أرى بقلبى فالرؤية بالقلب أعمق رؤية وأقوى بصيرة .. وهو أول من جعل من السيرة النبوية فنًا أدبيًا يتحدث فيه بلغة أهل ذاك العصر وليس كما نراهم نحن .

see review · Like · 9 likesflag

rated it 5 of 5 stars بسام عبد العزيزJun 29, 2015

تحفة أدبية أخرى من تحفه العديدة.. وهكذا بدأ العميد حديثه عن حياة العرب قبل البعثة النبوية .. هل هى مجموعة من الأساطير؟ هل كان هذا بالفعل تاريخا حقيقيا؟هل قد يتقبل العقل مجموعة من الأخبار التي تبدو بلا أي أسانيد علمية ونحن في القرن الحادي والعشرين؟ (أو العشرين اثناء نشر الكتاب؟) لا يهم! لا يهم هل هى حقيقة أم لا.. لكن المهم هو شئ واحد.. المهم هو أن يكون الكتاب داعيا إلى شيء أعظم.. شيء أكبر .. المهم ان تكون الأسطورة موجهة للخير.. أن تكون نبراسا يسير تحته الناس..المهم أن يخرج القارئ من الكتاب وهو يشعر بقيمة عليا يراها أمام

ناظريه .. حتى لو كان الدكتور يجد ما يكتبه غير مستساغ عقليا.. لكنه مع ذلك يضعه في أسلوب أدبي غاية في البلاغة والإمتاع.. أسلوب يجعل القارئ يحب العربية ويجدها أسهل لغة في الوجود.. وكذا اجملها! هكذا الدكتور طوال الكتاب.. متعة أدبية خالصة .. فقط افتح الكتاب على أي صفحة فيه وستجد كل كلمة وكلمة جملة وكل فقرة هى تحفة في حد ذاتها..العميد سيظل العميد.. أعظم من خط العربية في العصر الحديث في رأيي.

see review · Like · 6 likesflag

rated it 5 of 5 stars FatmaAug 23, 2011

هل فعلا تحمست يوما لقراءة كتب السير، للرسول الكريم .. نبي الأمه ؟؟ هل تشعر بالملل من اسلوب من يكتب عن افضل البشر؟؟ هل تشعر بالخجل من نفسك لعدم معرفة سيرة الرسول؟؟ اذا كانت اجابتك بنعم .. فعليك بقراءة هذا الكتاب الأدبي الآسر الذي يحملك لما وراء السطور .. لما لم يخبرك عنه التاريخ النبوي .. لما لم تسمع عنه يوم من حدث وحادث قبل ولادة افضل البشر على هذة الأرض وبعدها.. فعلا لم أتوقع نفسي حين رأيتني مشدوهه بالرغبه لمتابعة القراءه حتى نسيت انه كتاب تاريخي يحكي واقع وليس قصه مشوقه يطوف بك بين البلدان والرهبان والفلاسفه والهة الإغريق وتاريخ اليهوديه والنصرانيه على الجزيرة العربيه الى قريش وقصه عبدالله ابو نبينا الكريم وماكان من حياته .. فعلاً اشعر بالعار من نفسي لاني لم أعرف عن هذا الكتاب من قبل ولم أعرف عن مثل هذا التاريخ النبوي رغم دراستي له منذ صغري .. أحببته.

see review · Like · 4 likesflag

rated it 1 of 5 stars SafaeNov 30, 2011

لكل من أراد قراءة هذه القصة انها مليئة بالأكاذيب يغرنا بأسلوبه الأدبي الرائع اللا مثيل له وننجرف وراء أكاذيبه خاصة أنه يشير في بداية كتابه الى أن أي حدث يتعلق بشكل مباشر بأقوال أو أفعال الرسول هو مقتبس بدون أي تصرف منه من كتاب معروف و موثوق به عن السيرة النبوية.

لكنه أيها السادة يغذي عقولنا بالأكاذيب دون حتى أن نشعر فكمثال بسيط هو يذكر لنا قصة راهب هرب من بطش قيصر الى مدينة كان أهلها معظمهم مسيحيون تطورت الأحداث في هذه القرية فيامر حاكم تلك المنطقة الوثني باحراق أهلها في مقبرة جماعية فيكون ذلك الراهب على حسب قول طه حسين من الأوائل اللذين لقوا حتفهم. اليوم كنت أبحث قبل قليل عن قصة أصحاب الأخدود

وذهلت تفاصيلها لأنها تشبه الى حد كبير القصة اللتي أقحمها طه في روايته بصيغة كاذبة وجعل هذه الحادثة هي المؤدية بصورة شبه مباشرة الى رغبة أصحاب الفيل في هدم مكة وهنا قد تطاول طه على مرجع أكثر قداسة ألا و هو القران الكريم. أكتب هذا املة أن يتوقف الناس عن تصديق هذه الرواية الكاذبة التي حولت للأسف سنة١٩٧٧الى عمل تلفزيوني درامي أذيع في شهر رمضان الأبرك. فأينكم يا ذوي العقول كي تنتبهو الى مثل هاته الكوارث .

see review · Like · 3 likesflag

rated it 4 of 5 stars Mohamed El-AttarJun 24, 2015

طه حسين يريد أن يكتب إلياذة خاصة بالعرب حاول جاهداً، لكن أي إلياذة تلك التي تقارن بسيرة الحبيب المصطفى فمحمد، وسيرته، وعصره، بمائة ألف ألف إلياذة وإن كنت استمتعت كثيرا بلغة عميد اللغة العربية وسرده حيث روى، وخياله حيث حكى ولغته حيث أثرى، بالسيرة وزدها بهائاً وأغنى رحم الله طه حسين وصلى الله وسلم على حبيبه المصطفى .

see review · Like · 2 likesflag

rated it 5 of 5 stars Abdullah FaisalApr 14, 2015

بغض النظر عن صحة الروايات في الكتاب، إلا أن أسلوب طه حسين أسلوب بارع رشيق سلس لذيذ ...

see review · Like · 1 likeflag

rated it 4 of 5 stars maiJul 18, 2014

مختلف عن أي سرد السيرة الهاشمية

see review · Like · 1 likeflag

rated it 3 of 5 stars Yasmine AhmedMay 22, 2015

حدوتة .. ده افضل وصف للكتاب .. عجبني اوي اسلوب الحكاية ولما يطلع من حاجه ويدخل ف حاجه تانيه وبعدين يحصل ترابط مابينهم استمتعت الى حد ما .... لكن بحذر ف من المعلومات شويه ... الموضوع بالنسبالي كان حكاية فعلا ف مكنتش باخدها ع انها حاجات موثقه .

see review · Like · 1 likeflag

added it latefa shahineAug 31, 2015

من اروع ما قرأت لطه حسين لغه وسرد وخيال وروايه للقصص بشكل مختلف بعض المعلومات الي احنا وخدين عنها نبذه يريدها هو بالتفاصيل والحبكه الروائيه الناضجه عن ما قبل ولاده الرسول

وحال الجزيرة العربيه والاحداث المؤديه لعام الفيل بجد كم هائل من المعلومات القيمه استمتعت بقرأته ومتشوقه للجزء الثاني بفارغ الصبر .

see review · Like · 1 likeflag

rated it 4 of 5 stars Noura AbdelfattahApr 12, 2014

سرد رائع للسيرة وان فاجاتنى ردود البعض عن وجود اخطاء تاريخية فيها وده هيجبرنى ان اصدق المعلومة اللى انا متأكدة من صحتها واكتفى بالنص الادبى من المعلومة اللى ماعرف صحتها من عدمه اسلوب الكتابة رائع واللغة العربية ومفرداتها اللى اختارها على صعوبتها واضحة وسلسة .

see review · Likeflag

rated it 4 of 5 stars فهيمة محمودSep 26, 2014

السرد رائع واللغة جميلة .. وتسلسل الأحداث مُرتب وقربت معلومات أول مرة أعرفها .

see review · Likeflag

rated it 2 of 5 stars HassanJun 12, 2014

تعابير أدبية جميلة .. لكنه لم يوفق في سياق السيرة .

see review · Likeflag

review of another edition rated it 4 of 5 stars · Walid ElalfyJul 06, 2015

قراء جميله لسير المصطفى ولا اروع .

see review · Likeflag

rated it 4 of 5 stars Esraa EL-nehrawyJan 29, 2014

سهل....سلس....مؤثر ومبكى احيانا.

see review · Likeflag

rated it 3 of 5 stars Ahmed EllaienApr 21, 2014

الصراحة الكتاب بيتناول الاحداث اللي سبقت سيدنا محمد في الفترة دي من التاريخ باسلوب جديد اسلوب رواية اكنك بتقرا قصة بتبقا عايز تكملها دايما و دي اكبر ميزة انت مش بتقرا كتاب تاريخ تفتح صفحتين وبتزهق منه بعدها.

see review · Likeflag

rated it 5 of 5 stars Mahmoud GhanemaJul 17, 2013

عندما تقرا التاريخ في عمل روائي قصصي ، ويجتمع مع هذا حسن الاسلوب وسهوله التعبير وسهوله الكلمات مقارنه بكتب التاريخ

see review · Likeflag

rated it 5 of 5 stars MarwaOct 19, 2012

..إنه الرجل الذي قرأ السير، النبويه الشريفه بشكل جديد ومن زٰوية مختلفه

see review [1] · Likeflag

من بين عشرات التعليقات التي تمتدح الكتاب وتثني على صاحبه لم يكن إلا تعليق واحد قد فطن إلى خطورة الكتاب في تزييف وعي الناس عن سيرة النبي الكريم ، والعجيب أن بعض القراء عدُّوا الكتاب مرجعاً علمياً يجب بحثاً تجديدياً في السيرة النبوية !!

مسلسل على هامش السيرة

لم يتوقف تأثير كتاب على هامش السيرة على قرائه الذين يبلغون مئات الآلاف ، يتضح ذلك من عدد طبعات الكتاب التي بلغت نحو ثلاثين طبعة ، إنما زاد تأثيره بعدما تحوَّل إلى مسلسل إذاعي ثم تلفزيوني شاهده مئات الملايين وتأثروا به ؛ فقد تمَّ تحويل الكتاب إلى مسلسل تلفزيوني من إنتاج الإذاعة والتليفزيون – جمهورية مصر العربية بالاشتراك مع التليفزيون الأردني عرض في رمضان عام ١٩٧٨ في ثلاثين حلقة ، وكتب السيناريو والحوار له أمينة الصاوي ، وكان قد سبق تحويله إلى مسلسل إذاعي قبل ذلك .

وبالرجوع إلى المسلسل التليفزيون وجدت أنه يشتمل على نفس أساطير طه حسين ورواياته الضعيفة بل زاد عليها أساطير أخرى [2] وقد نال المسلسل ، ويا للعجب ،

---

(1) نقلة عن موقع www.goodreads.com.

(2) راجع على سبيل المثال الحلقة الحادية عشرة والثانية عشرة من المسلسل اللتين تتحدثان على مولد النبي.

استحسان المشاهدين عند عرضه أول مرة ، كذلك عند إعادة عرضه في التليفزيون ، كما كانت تعليقات المشاهدين له على YouTube كلها إيجابية فهو يذكرهم بزمن الفن الجميل !!

وبالتالي يمكن القول إن معظم المسلمين والعرب قد اطلعوا على الكتاب إما بقراءته أو مشاهدة المسلسل أو كليهما فمن لم يقرأ الكتاب فحتماً قد شاهد المسلسل أو سمعه خاصة أنه كان مسلسل رمضان الرئيسي حين عرض عام ١٩٧٨.

ومن هنا تأتي خطورة الكتاب الذي رسَّخ للأساطير وجعلها ديناً .

بعض ما اشتمل عليه الكتاب من أساطير وروايات غير صحيحة

وحتى لا يكون الكلام عن طه حسين وكتابه على هامش السيرة مرسلاً ، وإلقاء التهم دون أدلة ، وحتى لا نتهم بما يتهم به الكاتب من إلقاء الكلام على عواهنه فإننا نُذكِّر ببعض ما جاء في كتابه وقد فصَّلنا الكلام في الجزء الأول من هذا الكتاب .

ولن نقف عند خلط الكاتب تاريخ العرب قبل الإسلام بأساطير المسيحية، واليهودية، وقساوسة مصر والشام وخيبر، ونصارى اليمن، وأساطير اليونان والرومان، لن نقف عند ذكر الكاتب قيصر وحاكمه أندرو كليس، وقصة الفيلسوف كلكراتيس وحديثه الطويل عن القساوسة والرهبان الذين كانوا يتوافدون على مصر من سائر بقاع الأرض. وقصة باخوم الذي زعم أنه أقام بمكة فترة من الزمن وشارك أهل مكة في التخطيط لإعادة بناء الكعبة ، لن نتوقف عند هذا فليس له علاقة مباشرة بالنبي ولا صحبه إنما نتوقف عند بعض الروايات الضعيفة والموضوعة التي تتعلق بالإسلام ورسوله .

ذكر الكاتب قصصاً وأخباراً كثيرة حدثت لأم النبي ﷺ بعدما حملت به ﷺ ، وهذه القصص وتلك الأخبار لم يثبت منها شيء ، وذكر الكاتب قصصاً حدثت لأم النبي ﷺ عند ولادتهﷺوما ذكره الكاتب لم يصح منه شيء إلا الرؤيا التي رأتها أم النبي عند ولادته والتي يقول فيها النبي : " ورؤيا أمِّي الَّتي رأَتْ حينَ وضَعَتْني أنَّه خرَج منها نورٌ أضاءَتْ لها منه قصورُ الشَّامِ " [صححه الألباني وغيره] .

ورغم ولع الكاتب بالقصص ، وإن كانت غير صحيحة ، فإنه لم يذكر شيئاً عن حياة النبي ﷺ عند مرضعته حليمة السعدية وقد أجمع رواة السيرة أن بادية بني سعد كانت تعاني إذ ذاك سَنَة مجدبة جفَّ فيها الضرع ويبس الزرع ، فما هو إلا أن صار محمد ﷺ في منزل حليمة حتى عادت منازل حليمة من حول خبائها مُخْضَّرة فكانت أغنامها تروح منها عائدة إلى الدار شباعاً ممتلئة الضرع .

كما لم يذكر الكاتب شيئاً عن حادثة شق الصدر التي حدثت للنبي ﷺ في صغره وهو في بني سعد رغم صحة الحديث فيها .

إن منهج الكاتب في إيراد الروايات كمنهج أبي فرج الأصفهاني في كتاب الأغاني إذ يذكر ما فيه إثارة وتشويق وإن كان غير صحيح ويتجاهل الروايات الصحية إن خلت من الإثارة والتشويق!

وقصة هجرة أم أيمن والأحداث العجيبة التي وقعت لها أثناءها غير صحيحة ، وكذلك مزاحه ﷺ معها على النحو الذي ذكره الكاتب.

لقد صاغ الكاتب قصة فداء عبد الله أبي النبي ﷺ بأسلوب يوحي بأن الآلهة التي كان يعبدها أهل مكة قد قبلت بالفعل الفداء وتركت لعبد المطلب ابنه عبد الله !

أما كلام الكاتب عن مسِّ النبي ﷺ بعد بعثته ثدي السيدة حليمة فهذا باطل لا أصل له ، كذلك ادِّعاء الكتاب أن النبي ﷺ كان ينادي السيدة حليمة : أمي ! أمي !

ذكر الكاتب على لسان بحيرى ، ممثلاً لأهل الكتاب ، تفصيلاً لحياة النبي ﷺ منذ ميلاده حتى بعثته زاعماً أن هذه الأخبار مكتوبة عند أهل الكتاب في كتبهم المقدسة وأخبرهم بها أحبارهم ورهبانهم ومعظم ما ذكره لم يصح وقوعه ، وما صحَّ وقوعه لم يصح معرفة أهل الكتاب به قبل حدوثه .

أما ما جاء في بعض الروايات من سجود الحجر والشجر للنبي ﷺ وميل فيء الشجرة عليه وتظليل الغمام له وحده ، وقول النبي ﷺ لبحيرى عندما استحلفه

باللات والعُزّى " لا تسألني باللات والعزّى، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئاً قطّ ." كل هذا فيه نظر كما لاحظ ذلك الإمام الذهبي .

وما قاله الكاتب على لسان ميسرة وهو يقص للسيدة خديجة خبر سفره من النبي ﷺ هو بلا شك من أساطير طه حسين اكتتبها ونسبها لميسرة زوراً وبهتاناً ، وطه حسين هنا لا يفرق بين سيرة النبي المرسل وأساطير آلهة وأبطال اليونان التي انتحلها أدباء اليونان . والنبي ﷺ لا يحتاج هذه الأساطير لإثبات نبوته بل بالعكس هذه الأساطير بيِّنة الوضع تشكك في المعجزات الصحيحة فإن المغرضين والمتشككين يجعلون المكذوب مع الصحيح ويركموه جميعاً فيجعلونه من جملة أساطير الأولين التي هي عندهم أفيون الشعوب أو في أحسن تقدير مادة للتسلية واللهو لا دين سماوي وسيرة رسول كريم مرسل من رب العالمين . وإن أمثال طه حسين وغيره ييسرون لهم سبيل ذلك .

أولم يكتف الكاتب بانتحال خبر ميسرة عن الراهب نسطور، بل ينتحل كلاماً على لسان السيدة خديجة وورقة يكذبه ما ورد في السنة الصحيحة ، وادَّعى دون دليل أن السيدة خديجة كانت تحب محمداً ﷺ منذ صباه وجعلت ترعاه من بعيد .

وحديث الشيخ النجدي الذي الذي ادَّعى الكانت أنه أراد أن يشارك أهل مكة في بناء الكعبة فرفضوا من الأساطير المنتحلة ، مثل انتحاله أسطورة تثبيت أصنام الكعبة بالرصاص بناء على ما اقترحه عليهم القس الروماني باخوم .

وما ذكره الكاتب عن دلائل النبوة قبل بعثة النبي لا يصح أكثره .

حديث حماية أبي لهب النبي بعد موت أبي طالب ثم رد جواره بعدما سأل النبيَّ ﷺ عن عبد المطلب فقال ﷺ له " إن عبد المطلب في النار " لا يصح سنداً ولا متناً .

وتجسُّد الملائكة في هيئة أشخاص تلبس عمائم وتركب خيولاً مسوَّمة في غزوة بدر الذي ذكره الكاتب وردت في روايات أسانيدها لا تصح ، كذلك قسم النبي ﷺلئن أظهره الله على قريش ليمثلن بقتلاهم انتقاماً لما فعلوه بعمه حمزة يوم أحد

رواية لم تثبت سنتداً وتتعارض مع ما عرف من القواعد التي أوصى بها النبي ﷺ في القتال .

كذلك ما ذكره الكاتب من تغطية قدمي سيدنا حمزة عند دفنه بأوراق الشجر لا يصح ، وعَقْر جعفر بن ابي طالب فرسه في غزوة مؤته .

وما ذكره الكاتب عن عداس فيما يتعلق بغزوة الطائف ما هو إلا أحد أساطيره التي يذكرها في أحداث السيرة ليحسب ، غير الدارس ، أنه من سيرة النبي وما هو من السيرة .

أما ما ذكره الكاتب من حب النبي ﷺ زينب زوجة زيد، واضطراب نفسهﷺ لذلك، وإظهار الله تعالى ما يخفيه من هذا الحب ، ومعرفة الناس ما يحاول النبي ﷺ إخفاءه من حب لزينب زوجة زيد فهذا كله لا يصح وما ورد فيه من آثار ذكرها بعض المفسرين فهي غير صحيحة .

ولكن المثير للتساؤل إصرار الكاتب على ذكر أحاديث النبي ﷺ بالمعنى ولا يذكرها بالنص ، وإصراره على استبدال كلماته ببعض كلماتها ؟!! والعجيب أنه يضع الحديث بعدما تصرَّف في ألفاظه بين أقواس موهماً أن ذلك هو نص الحديث وليس معناه ، وكان عليه إما أن يذكر نص الحديث أو يذكر معناه دون علامات تنصيص وينوه عن ذلك لكنه لم يفعل هذا ولا ذاك !

وما ذكره الكاتب على لسان الأمير : " إن النبي قال : " لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي " لا يصح سنداً ولا متناً فما رواه ابن سعد عن الزهري عن أبي جعفر أن رسول الله ﷺ قال " لَوْ عَاشَ إِبْرَاهِيمُ لَوَضَعْتُ الْجِزْيَةَ عَنْ كُلِّ قِبْطِيَ " حديث مرسل لا يصح سنداً ، قال عنه الألباني إنه موضوع .

العجيب عندما يتحدث الكاتب في آخر الكاتب عن معجزات النبي ﷺ لم يذكر من بينها القرآن الكريم ؛ فالقرآن الكريم ، عنده ، ما هو إلا كتاب هداية ورحمة وبر فقط وليس معجزة إلهية تحدى الله تعالى الإنس والجن أن يأتوا بمثلها .

وكلام الكاتب هذا ينمُّ عن جهل تام بمفهوم المعجزات الإلهية ويخلط بينها وبين الإبداعات البشرية والقدرات الإنسانية ، وقد فصَّلنا القول في هذا في موضعه في الكتاب .

عندما ألَّف طه حسين كتابه على هامش السيرة كانت هناك مدرستان سائدتان : أصحاب المدرسة العقلية الذين يستبعدون كل ما يخالف المألوف وإن دخل في باب المعجزات الإلهية الثابتة ، ولا يرون فائدة لها بل ربما كانت مدعاة لتشكيك المغرضين في الإسلام ورسوله ، وهذه يمثلها د. محمد حسين هيكل في كتاب " حياة محمد " والعقاد في كتاب " عبقرية محمد " ومحمد فريد وجدي في كتاب " السيرة النبوية تحت ضوء العلم والفلسفة " ، وغيرهم ، ومدرسة أصحاب السير المولعون بذكر الروايات المختلفة وإن كانت واهية السند أو لا سند لها معتمدين على ما جاء في كتب السير القديمة مثل : ابن اسحاق ، وابن هشام ، والواقدي ، وابن سعد .. وغيرهم .

ولم تكن قد انتشرت المدرسة الثالثة مدرسة أهل الحديث والتحقيق وأصحاب هذه المدرسة لا يذكرون إلا ما صحَّ من الروايات في كتب الحديث ولا يستشهدون بالضعيف والمكذوب . وطه حسين ينهج نهج أصحاب السير وقد صرَّح هو بذلك في المقدمة بمصادر الكتب التي اعتمد عليها فقال : " فهذه المصادر قليلة جداً ؛ لا تكاد تتجاوز سيرة ابن هشام ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبري . وليس في هذا الكتاب فصل أو نبأ أو حديث إلا وهو يدور حول خبر من الأخبار ورد في كتاب من هذه الكتب ." بل إن طه حسين كما بينا لا يكتفي بذكر القصص غير المحققة بل إنه ينتحل قصصاً من خياله وينسج أساطير من إبداعه .

ومنهجنا الذي اعتمدناه في هذا الكتاب أو غيره هو الاعتماد على الروايات الصحيحة الواردة في كتب الحديث والتي لا تتعارض مع صريح القرآن وصحيح العقل والخصائص العامة للدين .

منهج طه حسين وطريقة بحثه

أجمع دارسو طه حسين على اختلاف اتجاهاتهم وميولهم على أن طه حسين ليس له منهج ثابت يلتزم به أو نهج محدد يسير وفقه ، إنما يستخدم مناهج عديدة مختلفة اختلاف تضاد وليس اختلاف تنوع ، ولا يوفِّق بينها بل يخلطها خلطاً ويجمع بين تناقضاتها ويمزج بين تنافراتها ، ويمزج هذه المناهج المتناقضة بانطباعاته الشخصية فإذا أنت أمام بائع كتب في سوق الأزبكية يعرض أصنافاً شتى من الكتب لا يربط بينها رابط ولا يجمع بينها جامع فهذا كتاب في العشق الإلهي بجوار كتاب عن نجوم الفن تحتهما كتاب عن التفكير العلمي ومناهج البحث بجواره ديوان شعر وتحتهما كتاب عن السيرة النبوية بجواره كتاب عن فن الباليه .

والذي يفسر هذا التناقض الكبير في مؤلفات طه حسين أن أغلبها منقولة عن غيره وليس له فضل إلا ترجمتها وصياغتها فهو يقرأ كثيراً للمستشرقين ذوي المدارس الفكرية المتباينة ويعرض أفكارهم وآراءهم ، ويمزج أفكار هذا بذاك كما بيَّنا عند المقارنة بين كتابيه : في الشعر الجاهلي ، وعلى هامش السيرة .

لقد أحصى إسماعيل أدهم أحمد تلميذ طه حسين عليه أخطاء أربعة في طريقة البحث هي :

١- مزج الجانب العلمي بالجانب الذاتي أو الفني .

٢- عدم التحوُّط في البحث .
٣- بعض التطرف في الاستنتاج .

السطحية في استقصاء الأسباب . [١]

ويضيف أنور الجندي إلى هذه الأخطاء : " فإننا نستطيع أن نضيف إلى ذلك الخطأ في النقل ، والتبعية في الرأي ، والإسراف في الهوى ، واتباع الظن . [١]

([١]) أنور الجندي " طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام " دار الاعتصام ص ١٥٤ .

ويؤكد عدم التزام طه حسين بمنهج معين كل من تعرَّض لدراسة أعماله من المفتونين به مثل د. جابر عصفور ، والمعارضين له مثل أنور الجندي ، وأصلان عبد السلام .

يقول د. جابر عصفور :" كيف السبيل إلى اكتشاف الفكر النقدي عند طه حسين؟ وهل هناك – ابتداءً – بنية لهذا الفكر ؟ إن طه حسين الناقد الأدبي متنوع الجوانب ، متعدد الاهتمام . متقلب الصفات . والتبدل والتحول والمغايرة – في نقده– أمور تشي بالتباين الكيفي لجوانب هذا النقد .

إننا نعرف طه حسين الناقد العقلاني الذي يؤرقه اتزان المنهج ، وتشغله دقة المعارف التي تهدي خطى الناقد ؛ فيلوذ بالديكارتية في طرائق التثبت ، مثلما يلوذ بالمكتسبات المنهجية في إجراءات البحث التاريخي الحديث ، ويتقبل بعض أفكار تين عن الدرس الأدبي بعد أن يمزجها بأفكار أستاذه كارلو نالينو ، ويتقبل بعض أفكار سانت بيف بعد أن يعقلها بأفكار أستاذه جوستاف لانسون ؛ ليسعى بهذه العقلانية إلى فهم الأعمال الأدبية .. ولكننا نعرف في المقابل طه حسين الناقد الانطباعي الذي ينفر من العقل ، ويكاد ينفي المنهج ، إن لم ينفه بالفعل غير مرة ، ويلوذ بنقاد من أمثال أناتول فرانس وجول لومتر . ليمزج طرائقهم بنهج أستاذه سيد بن على المرصفي، ليؤكد أن الناقد أديب يبغي التذوق ويسعى وراء المتعة " (٢)

يقول أنور الجندي : " وبالجملة فإن إنتاج طه حسين يكاد متناقضاً تناقضاً بينا ففيه الرأي وضده والقول بالشيء وبعكس الشيء ، فهو لا يقول عن عقيدة ثابتة لا تتزعزع ولا إيمان صادق ولكنه يقول في مجال ارتفاع موجة الشيء ثم يقول في انخفاضها وهو يقول الرأي ليصدم الجماهير ، أو ليحدث الدوي ، أو ليرضي الهوى

---

(1) أنور الجندي " طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام " دار الاعتصام ص ١٥٥

(2) د. جابر عصفور " المرايا المتجاورة دراسة في نقد طه حسين " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٨

من أصحاب النفوذ والسلطان الذي عاش متعلقاً بهم . ثم يغير هذا القول إذا تغير النفوذ والسلطان وموقفه من العروبة والفرعونية واضح " [١]

يقول د. البهي عند حديثه عن التجديد في الفكر الإسلامي المتأثر بالمستشرقين : " إننا نجد هذا الفكر يسلك إحدى هذين الطريقتين :

إما امتحان القرآن والإسلام بالمقاييس البشرية ، وبما يسمى بالحقائق التاريخية ، ثم ترتيب كل النتائج التي تترب على ذلك ، هي النتائج المعروفة في كتابات المستشرقين في الدراسات الإسلامية .

أو الدعوة إلى خرافة الميتافيزيقا ، أو خداع الدين وكل الآراء التي تتصل بالعالم الذي هو وراء هذا العالم المشاهد ، وهو عالم الغيب وملكوت الله ، على نحو ما جاءت به الأديان أو عالم الاتجاه المثالي على ما يوصف في المدارس الفلسفية العقلية . " [٢]

وبعد أن عرض د. محمد البهي كتاب " المذهب المحمدي " للمستشرق الإنجليزي " جب " وكتاب طه حسين " في الشعر الجاهلي " قال: " ولم يكن القصد في الموازنة بين الكاتبين في عرض بشرية القرآن إلى بيان أن أحدهما أخذ من الثاني ، بل كان القصد أولاً وبالذات إلى توضيح أن كتاب " الشعر الجاهلي " في العالم العربي يحكي رأي المستشرقين في هذا الجانب . " [٣]

لقد أخذ طه حسين بشرية القرآن التي تجلَّت في كتابه " في الشعر الجاهلي " من المستشرق " جب " فممن أخذ الخرافة الميتافيزيقا أو خداع الدين التي تجلَّت في كتابه " على هامش السيرة "

---

(1) أنور الجندي " طه حسين حياته وفكر في ميزان الإسلام " دار الاعتصام ص ١٦٥

(2) د . محمد البهي " الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي " نهضة وهبة ط ١٢ ص ١٧٦ .

(3) د . محمد البهي " الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي " نهضة وهبة ط ١٢ ص ١٩٢ .

يقول طه حسين في بحث نشره في كتاب " الإسلام والغرب " الصادر عام ١٩٤٦ في باريس: "لقد حاولت أن أقصَّ بعض الأساطير المتصلة بالفترة التي سبقت ظهور النَّبيّ ﷺ ثم قصصت مولده وطفولته. ونشرت هذه السلسلة بعنوان مقتبس من جيل لوميتر وهو " على هامش السيرة " . ويتحتم أن نعترف بأن كتابين فرنسيين كانا بمثابة الشرارتين اللتين أشعلت موقدين كبيرين: أحد الكتابين لجيل لوميتر عنوان " على هامش الكتب القديمة " والثاني: "حياة محمد لأميل درمنجم " .

أما كتاب "جيل لوميتر" فإني بعد أن شغفت به كثيراً وضعت في نفسي الأسئلة الآتية:

هل يمكن إعادة كتابة مآثر الفترة البطولية في تاريخ الإسلام في أسلوب جديد أم أنه يتعذر ذلك؟ وهل تصلح اللغة العربية لإحياء هذه المآثر؟ " [١]

عرفنا من أين جاء اضطراب منهج طه حسين في التأليف ، من نقله عن كتبه غيره ذات المناهج المتباينة والآراء المتعارضة .

أسلوب طه حسين في الكتابة

يتميز طه حسين بجمال اللغة التي يكتب بها وبتنوع الأساليب التي يستخدمها وبراعة البيان الذي يصوغ به عبارته ، وهذا ما يميزه ؛ فمعظم أفكاره وآرائه لا فضل له فيها إلا إعادة صياغتها بأسلوبه هذا ، وأجمل كتبه " الأيام " لأنه تحدث فيها عن نفسه ، ولم يكن ناقلاً عن غيره ، ويبدو أن كثرة التهم التي رمي بها ، والنقد الذي وجه إليه جعلته يحتاط ويستخدم لغة مراوغة لا تفصل في موضوع ولا تبت في مسألة ولا تحكم في قضية .

وعن أسلوب طه حسين في الكتابة ولغته المراوغة يقول العقاد : " هناك النقيضة الظاهرة في أسلوبه بين الحزم والتشكيك : إن أخصب الألفاظ في كلامه من أمثال : أزعم ، لعله يكون ، ولعله لا يكون ، ربما ضحكت وربما بكيت ، وتحسبه من الشك

([١]) محمد صالح المنجد " إحياء الأساطير في سيرة النبي ﷺ " موقع مِداد الالكتروني .

لا يكاد يستقر على شيء ، وإن أضعف التقريرات والتوكيدات في كلامه قد تحسبه في طليعة الكتاب الجارمين الحزامين (والقول ما قالت حزام) ، ونقيضة أخرى أن تقترن الروح الجدلية في عباراته بالروح العلمية من سطر إلى سطر ومن قضية إلى قضية"[١]

ويقول أنور الجندي " إن طه حسين يحتمي وراء لغته وهي بين بين ، وهي ليست جديدة كل الجد عليها ، إنها لا تقطع في شيء أبداً ، بل مرنة تصلح للف والمداراة لا تصف شيئاً بأنه أبيض أو أسود ، بل تصفه بأنه أقرب ما يكون إلى السواد وأقرب ما يكون إلى البياض ، وهذه الطريقة في التعبير ، هي مرآة لحياة طه حسين التي هي دائماً بين بين ، إنها لغة لا تصلح للشعر ،ولا للمقالة إنها تصلح فقط لطه حسين وهي لا تصلح له كأديب بل تصلح له وتساعده في حياته السياسية والاجتماعية وفي التعبير عن مشاعره الدينية على السواء " [٢]

كانت هذه مقدمة في أفكار طه حسين واتجاهاته الدينية وأفكار مقارنة بأفكار واتجاهات من عاصره من الكتاب والمفكرين لنأخذ حذرنا عن قراءة كتبه خاصة الدينية منها .

***

(1) أنور الجندي " طه حسين حياته وفكر في ميزان الإسلام " دار الاعتصام ص ١٦٣
(2) نفسه ص ١٦٢

كتب للمؤلف

كتب دينية

١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي

٢- ميزان الحق (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) دار زهور المعرفة والبركة

٣- الدين والسياسة والنبوءة . دار الكتاب العربي

٤- المدارس السلفية،جدليَّة النقل والعقل والمصلحة. دار زهور المعرفة والبركة

٥- الفوائد الجمة في تفسير جزء عمَّ . دار زهور المعرفة والبركة

٦- عبقرية محمد للعقاد ، مع ضبط وتخريج الأحاديث النبوية ، ومناقشة آراء العقاد الدينية وذكر مفتاح شخصية خير البرية . دار زهور المعرفة والبركة

٧- ضبط وتخريج الأحاديث النبوية لكتاب " على هامش السيرة لطه حسين " مع مناقشة أفكار الكاتب واتجاهاته الدينية . دار زهور المعرفة والبركة

سلسلة فصول من تاريخ مصر المعاصر

١- آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

٢- العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو دار زهور المعرفة والبركة

٣- هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية " " " " " " " "

٤- إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي " " " " " " " "

٥- نظام عبد الناصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي " " " " " " " "

٦- أمريكا وعبد الناصر من التحالف إلى العداء " " " " " " " "

سلسلة كتب نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي

١- الاستراتيجية الصهيونية تجاه العرب ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض .

دار هبة النيل العربية

٢- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي .

دار الإبداع للصحافة والنشر

٣- اليهود والصليبيون الجدد (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة) " " " " " "

٤- إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن " " " " " "

٥- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة " " " " " "

٦-اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية " " " " " "

كتب عن الثورة

١- متى يثور المصريون ، دراسة في الشخصية المصرية والثورة عبر التاريخ

زهور المعرفة والبركة

٢- دروس من ثورة يوليو لثورة يناير . زهور المعرفة والبركة

كتب عن الحضارة المصريّة

١- حضارات مصر ونهضاتها . زهور المعرفة والبركة

٢- لسنا فراعنة ولا عرباً ولا أورمتوسطين فمن نكون ؟ زهور المعرفة والبركة

المؤلفات الأدبية

١- مهاجرون (قصص قصيرة) زهور المعرفة والبركة

٢- الحرف التاسع والعشرون (قصص قصيرة) " " " " " "

٣- ليت قومي يعلمون . (قصص قصيرة) "" "" "" ""

٤- القاهرة ، يناير ٢٠١١ (رواية) "" "" "" ""

٥- شهادات رموز ومعالم مصرية حديثة على بطولات مصرية مجيدة .

(قصص مصورة للنشء والشباب) زهور المعرفة والبركة

كتب أطفال

* سلسلة أصدقاء البيئة (٨ قصص) دار زهور المعرفة والبركة

* السلسلة النفيسة في ثورات مصر الحديثة (٥ قصص) " " " " " " " "

- توجد كتب المؤلف في مكتبات أفضل ٤٠ جامعة على مستوى في العالم، ومعظم الجامعات العربية، ومعظم مدارس وجامعات مصر، وكتبت عن مؤلفاته عديد من الصحف العربية، والأجنبية والمواقع الالكترونية .

- قررت دولة قطر قصة المؤلف " وردة المدرسة " على الصف الثالث الابتدائي.

- استضافة قناة النيل الثقافية المؤلف في برنامج " الرفيق " لعرض كتابه " متى يثور المصريون" .

التليفون المحمول 01226406489 :

البريد الالكتروني : yuness2005@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت www.albab.hooxs.com

***